حلم رجل مسجون

عيد زكريا

حلم رجل مسجون
عيد زكريا
تصميم الغلاف : عبير محمد
تدقيق لغوي: اسماء مصطفي
رقم ايداع: 2017/28919
ترقيم دولي: 978-977-6594-27-2

دار فصلة للنشر والتوزيع
العزيزيه - منيا القمح - مصر
٠١٠٦٧٠٠٠٧٠١
fasla.pub@gmail.com
FB .Com/Fasla .Pub

جميع حقوق الطبع و النشر محفوظه

الطبعه الاولي يناير ٢٠١٨

جميع حقوق النشر محفوظه لدار فصلة للنشر و التوزيع
إن أي تصوير أو اعادة طباعه أو نشر بشكل ورقي أو الكتروني أو ترجمته أو تسجيله صوتيا بدون إذن كتابي مسبق من الدار يعرض صاحبه للمسائله القانونيه

حلم رجل مسجون

عيد زكريا

فصلة
للنشر و التوزيع
Fasla Publishing & Distribution

الصمت له سحر عجيب
،سحرٌ من طراز خاص،
حقًا إنه لشيء عجيب،
إنه يكذب دون أن يتحدث،
ويخدع دون أن يفعل، ولا يلام إذا وعد وأخلف
إنه لشيء يجعل الإنسان يقف صامتًا مفكرًا حائرًا تائهًا عما بداخل من يمارسه
فقط يكفي أنه قادر على أن يجعل من الجاهل عالمًا ومن الأحمق حكيمًا
ومن الأبله فيلسوفًا يرغب الجميع في سماعه
وهذا ما كان يتحلى به ذلك الرجل الذي كان يجلس دائمًا بين الزملاء دون أن يتفوه بكلمة واحدة طوال الوقت وكأن اللسان الذي لديه تم تسليمه في الأمانات الخاصة بالسجن الذي يسكنه منذ عدة أيام بين جدران سوداء ملطخة بدماء مكتوب عليها من العبارات ما لا تحتاج إلى صعوبة في القراءة ومن بين ما كتب عليها
إلى أمي العزيزة أحبك،أحب الحياة ولكنها إلى الموت تدفعني،تحطيم الجسد هنا أسهل من مضغ العلكة خارج هذه الغرفة
أتيت إلى الدنيا لكي أسكن هنا؟! فيا ليت ما أتيت
إذا لم تفعل شيء يستحق الذكر فلن يحزن أحد عند موتك
كلمات كثيرة مثل هذه كتبت بدماء رجال لم يروا للشمس نورًا ولا للقمر ضوءًا ولا من سماع صوت الطبيعة إلا همسًا يتسلل من شرفة لا تزيد حجمًا عن لوحة طفل يرسم حمامة السلام التي أصبحت عاجزة أن تحلق بجناحيها ولم يكتف صانعها بصغر حجمها فوضع الحديد بداخلها حتى تدعوا لليأس وتحجب نور الحرية
كان الجميع يتحدث بداخل ذلك الغرفة التي تحتوي على أحلام لم يكتب لها البقاء إلا في الصدور، غير مصرح لها أن ترى النور
الحديث من الوسائل الأربع للتواصل مع الآخر، ولكن ذلك الرجل الذي كان

صامتًا دائمًا لم يتواصل مع من حوله قط منذ وصوله، وكان يبدو عليه أنه في تواصل دائم مستمر مع شيء في السماء لا ينقطع
كانت عيناه دائمًا لا يغيب عنهما الحزن والشرود، كما لا يغيب الأمل في قلوب الحالمين
نظراته إلى السماء كانت لا تعرف الانقطاع أو الخصام إلا عند النوم،النوم فقط هو من كان يجعل عينيه تترك السماء وشأنها
نظرات تأمل كانت لا تختلف كثيرًا عن نظرات الفلكيين القدماء إلى النجوم عند المساء،ولا تقل شأنًا من نظرات آلبرت أينشتين في النظريات،ولا يفوقه شرود عقل توماس كول في لوحته (رحلة الحياة)،ولا اندماج يوهان فان بيتهوفن في عزف السيمفونية التاسعة (أنشودة الفرح)
كان ينظر إليه الجميع وعلامات التعجب والاستفهام على وجوههم، والهمسات مستمرة دون أن تنقطع
إنه ملفت للانتباه ومثير للاهتمام والفضول في معرفة ما بداخل ذلك الرجل الذي يبدو صامتًا طوال الوقت، حتى بلغ الفضول من الجميع وكان من بينهم رجل لم يتحمل أكثر من هذا فقد مرت عدة أيام ولم يتفوه بكلمة واحدة مما دفعه إلى الذهاب إليه والحديث معه
اقترب منه (حمدي) ووقف بجواره وقال له بصوت خافت:
-مساء الخير؟
كان رد الفعل لم يتعد التجاهل ليس فقط باللسان بل أيضًا بنظرات عينيه
-ماذا اتى بك إلى هنا؟
كان الرد في هذه المرة لا يتعدى الرد في المرة السابقة
-يبدو أن هذه أول مرة لك؟
كان يعلم ذلك الرجل أن التجاهل أمر ليس به شيء من الاحترام، ولكنه ما زال للتجاهل يمارس دون انتباه أو أدنى مبالاة
كان الواقع الذي يحيطه يجعله يشعر دائمًا أن ليس هناك قدرة على المطالبة بالديمقراطية والحرية أو حتى كسرة خبز هنيئة دون سباب وإهانة علانية

استطرد حمدي قائلًا مرة أخرى راغبًا في اكتشاف قصة جديدة تستمع لها الآذان وينشرح بها الوجدان
كان الجميع في هذا المكان يشعرون بالملل حتى يأتي رجل بقصة جديدة تمنحهم سماع شيء يجعلهم يشعروا أن ما زال هناك العديد من الأشخاص يحملون همومًا أكثر مما لديهم
-لماذا أنت صامت هكذا؟
يرد في هدوء بعد برهة من الوقت وهو ما زال ينظر للسماء:
-أتوجه إلى الصمت دائمًا عندما أشعر بفقدان القدرة على التعبير
يرد الرجل محاولًا أن يجعله أكثر انفتاحًا:
-لا يلتزم الصمت سوى الحليم ولا يعرف قدر الصامت سوى الحكيم
كانت كلمات حمدي تبدو له كلمات تستحق أن يُستمع إليها
-يبدو أن ظلام الليل علينا طويل ونور الفجر عن أعيننا بعيد وصوت العبودية على آذاننا سئيم
يقول وهو ما زال ينظر إلى السماء:
- أخبرني معلمي ذات يوم أن الواقع سيكون أفضل كلما نظرت إلى الأمام
كان يقول ذلك دون أن يدري أني أنظر إلى ما لا يستطيع هو النظر إليه
-ولكن يجب أن تشارك الجميع في هذا الواقع وإلا ستكون حياتك لا تقل عن الجحيم ولن تستطيع أن تعيش أكثر من عدة أيام
ترك النظر إلى السماء وتوجه إلى صاحب الوجه الذي يبدو عليه الستون عامًا
-الواقع الذي أعيش به قد يبدو صغيرًا بالنسبة لتصورك، ولكنه في الحقيقة يعادل أضعاف ذلك الواقع الذي يعيش به الجميع هنا
كان يقول هذا ويبدو في عينيه عمق شديد ونبرات هادئة وكلمات مؤثرة
كان غريبًا أن يترك حمدي النظر في عينيه وينظر إلى السماء بعد ما كان يريد أن يرى ما في عينيه من شرود
-لا تُسئ الظن بأحد، ولا تسخر من حب امرأة ولا تقلل من شأن رجل كبير،ولا تهدم حلم طفل صغير

يقول (ياسين) شاب في الثلاثون من العمر بنبرة ساخرة:
-يبدو أنه في حاجة إلى المزيد من الوقت حتى يدرك جيدًا أن ما فيه ليس حلمًا بل واقع حقيقي
نظر إلى ذلك الشاب وقال له في هدوء شديد:
-لكل شيء بداية، وأنت في بداية الطريق ما زلت ذاهب، وعندما تصبح في الطريق عائد ستكون مثل ما تراني الآن
كانت كلماته قليلة جدًا لا تمنح لأحد الفرصة أن يتحدث كثيرًا،كان دائمًا لا يرغب في الحديث مع هؤلاء الذين يعتقدون أن الصمت المفعم الذي يمارسه لا يعني إلا شيئان،عدم امتلاكه شيئًا ليقوله،أو إنه تكبر واستعلاء،وكلاهما ليس بهما شيء مما يدفعه للصمت دائمًا
ينظر إلى حمدي ليجده واقفًا بجواره ووجهه إلى الأعلى، ينظر إلى السماء صامتًا من خلال تلك الشرفة الصغيرة، فيقول له:
-أنا لست رجل أحمق ينظر إلى الحياة نظرة تشاؤمية كما ترى، ولكن أنا رجل لديه عقل أدرك أكثر مما ينبغي وهذا كافٍ جدًا لرؤية ظلام بلا نهار
يستطرد حمدي قائلًا دون أن ينظر إليه:
-رغبتك في حياة أخرى غير هذه الحياة التي يعيش فيها من حولك لا يعطي لك الحق في التوجه لهم بالاتهام أنهم أقل منك شأنًا
ينظر ذلك الرجل إلى ما كان ينظر إليه قبل تسلل حمدي إليه رويدًا رويدًا إلى الواقع الذي يعيش به والذي يبدو أنه مغلق ليس به شيء من الانفتاح
ثم استطرد حمدي قائلًا:
-أنا أعلم جيدًا
يترك النظر إلى السماء للمرة الثانية وينظر إليه قائلًا:
-ماذا تعلم؟
-أعلم أن لا شيء يدفع الإنسان إلى الآلم سوى الإدراك،ولا يدفع الإنسان إلى الإدراك سوى التمرد،ولا يدفع الإنسان إلى التمرد سوى الرغبة في التغيير،ولا يدفع الإنسان إلى التغيير سوى الحصول على حياة أفضل

هنا فقط شعر ذلك الرجل أنه يقف بجوار رجل غامض شيئًا ما
-لم أكن أعلم أن للقلم قوة تجعل جميع الفاسدين يرتجفون خوفًا هكذا
ثم صمت قليلًا ونظر إلى السماء وقال:
عندما أتذكر نضال تشي غيفارا من أجل بقاء الثورة واستمرارها والإصرار من أجل نجاحها والعزيمة من أجل تغيير نظامها يتوالى سقوط حكامنا سريعًا من عيني
يبتسم حمدي ابتسامة ساخرة بعد ما أدرك السبب الذي أتى به إلى هنا
-الحكومات التي تعتقد أنها تستطيع ترويض المواطن حتى نهاية الزمان هي حكومات لا تمتلك من الإدراك شيء
ثم يصمت قليلًا ويقول:
فلا أقوى من قوة رجل عاش مسلوب الحقوق على أرض يقدم حياته فداء لها مع كل صباح
-لا يوجد رجل قوي لا يخشى شيئًا
-ومن أي شيء تخشى؟
-أخشى من الحكام
- وهل أنت تخشى؟
- بالطبع
-وعلى أي شيء تخشى؟
-أخشى على الوطن
-ولماذا تخشى؟
-لكون أفعال حكامنا أشد حماقة من أفعال رجل ثمل فقد توازنه بعد التردد على الحانات الليلية وتناول النبيذ بشراهة من كل زجاجة كانت في متناول يده
- الحياة تحتاج إلى القوة حتى تستطيع العيش بها
- الحياة لا تحتاج إلى القوة البدنية حتى تستطيع العيش، الحياة في حاجة لرجل حكيم وتصرف سديد
-يبدو أنك من هؤلاء الذين لا تروق لهم الحياة

-أنا ذلك الإنسان الذي يؤمن أشد الإيمان أنه خلق فقط لكي يعيش حياة لا تروق له

يبتسم ويقول:

-أنا أيضًا دائمًا يراودني ذلك الشعور الذي يخبرني أن لا شيء يروق لي على الإطلاق

ثم يلتفتان وجهًا لوجه ويبتسمان ويبسط حمدي له يده بالسلام ويقول:

-أهلًا بك في أرض الأحلام

**

كان جالس على كرسى هزاز على أمل أن يتدفق الاسترخاء في جميع أنحاء جسده حتى يحل الهدوء محل التوتر وتحل السكينة محل القلق بعد عمل يوم طويل وشاق استغرق منه مجهود وتركيز كبير، انتهى به إلى الجلوس مسترخيًا دون أن يتحرك فيه ساكنًا

كان يوجد أمامه قدح من القهوة التي يعتاد على تناولها دائمًا عند الإرهاق، أو عندما يرغب في التركيز وهو دائمًا مرهق أو لديه رغبة في التركيز، ولذلك لا يحب مفارقة الفنجان من يده اليمنى، أما اليد اليسرى فهي أيضًا كانت تحمل مسرحية هاملت للكاتب الإنجليزى الشهير شكسبير

كان معتاد أن يقرأ بصوت لا يسمعه أحد، حتى أذنه هو لا تسمع صوت حروف كلماته، أما الآن فكان لا يحرك شفتيه من كثرة الإرهاق التي حل به فور انتهاء العمل

كان يشعر بالنعاس والجوع والإرهاق في آن واحد، ومع ذلك لم يتوقف عن القراءة، فالقراءة بالنسبة له ليست مجرد كلمات قيلت من شخص ما، ولكن القراءة بالنسبة له جرعة لا يستطيع أن يتكاسل عن تناولها وإلا كان يومه ملبد بالغيوم ومليء بلا شيء من الأمل

يغلق الكتاب الذي في يده ويضعه بجوار الفنجان وينزع النظارة عن عينيه

-ريهام هل انتهيت من تحضير الطعام؟

لم يكن هناك إجابة للنداء من المرة الأولى فحاول مرة ثانية بصوت مرتفع بعض الشيء:

-ريهام
ترد ريهام من الداخل:
-نعم يا محمد،هل تريد شيء؟
-هل تبقى الكثير من الوقت على تحضير الطعام؟
- بعد خمس دقائق سيكون كل شيء جاهز على المائدة
- هل هناك شيء يحتاج للمساعدة أقوم به معك؟
- شكرًا لك محمد،الأمر لا يحتاج إلى المساعدة فقد أوشكت على الانتهاء من تحضير كل شيء
كان أسلوب حديثه مع من يتحدث معه هادئ جدًا لا يعرف الغضب أو العنف، وهذا لا يعود إلى التعليم الذي تلقاه في المدرسة أو الجامعة أثناء الدراسة، فهو يعلم جيدًا أن التعليم في وطن مثل هذا لا يجعل الإنسان راقي الأخلاق حسن الكلام عظيم التصرف، بل كان يعلم أن هذا ناتج من كثرة القراءة والدوام على المطالعة ومراقبة كل ما هو جديد من الأعمال الأدبية التي كان لا يستطيع أن يتابعها بشكل مستمر
يستطرد قائلًا:
-بعد خمس دقائق من الآن سيصل خالد من المدرسة وسيقول مقولته الشهيرة فور دخوله من الخارج
تخرج ريهام وهي تحمل في يديها طبق يحتوي على سلطة الخضار وتضعه على المائدة وهي تنظر إلى محمد مبتسمة، ويقولا الاثنين معًا في صوت واحد ممدود:
أنا جعان،أين الأكل
يضحكان الاثنان أيضًا معًا
ثم تقول ريهام وعلى وجهها ابتسامة صافية مليئة بالسعادة:
-أنت اليوم أتيت مبكرًا ساعة عن ميعاد عملك وهذا تسبب لي في الارتباك
يقول متبسمًا:
-أنا أحب الارتباك؟

-كل دقيقة تسأل عن الطعام هل أصبح جاهز أم لا حتى شعرت بالتوتر
ثم نظرت له نظرة تعجب وتقول سائلة:
والآن لا بد أن تجيب عن السؤال
-أي سؤال؟
-لماذا أتيت مبكرًا من العمل؟
ثم تقول مازحة وابتسامتها على وجهها تزيد من جمالها:
وإلا سأتوقف عن تحضير الطعام لأي شخص آخر باستثناء أنا وخالد
الحياة مليئة بالصدام والمشكلات التي لا تستطيع العاطفة وحدها التصدي لها والتعامل معها بشكل منطقي دون الاحتياج إلى عقول صادقة في العلاقات العاطفية، ولذلك لا بد من بناء صداقة قوية بين الرجل والمرأة على صعيد العلاقات العاطفية، فالحب وحده بين الرجل والمرأة ليس كافيًا
الصداقة،الصداقة بجوار الحب تجعل العلاقات أفضل لكونها تمنح بريق خاص ورائحة عطرة مفعمة بالإنسانية، وليس هذا فقط ما تمنحه الصداقة بل تمنح القوة بجوار قوة الحب، حتى تصبح القوة بينهما مضاعفة لا تسقط من أقل الأشياء ولا تتأثر مهما بلغت بها من عوامل خارجية تدعو للانفصال
وهذا ما كان يدركه محمد جيدًا ولذلك كان يتعمد أن يفعل كل شيء يجعل الحياة بينهما أفضل
يقول مازحًا:
-لقد أخبرني والدك ذات يوم أنه كان من إحدى أهداف حياتك الالتحاق بالشرطة، كما أخبرنى أيضًا أنك تجيدين فن السؤال وتريدين الحصول على أفضل الإجابات بشكل مختصر ومفيد، وبما أنك فشلت في تحقيق ذلك فمن اليسير عليك تحقيق في حياتك الشخصية وهذا ما أراه الآن بعيني وأسمعه بأذني وأتجاهله متعمدًا بعقلي
ترد مندهشة مما سمعت من كلمات وهي ترفع إحدى حاجبيها معلنة الاندهاش وتعيد ما قيل حتى تتأكد:
-هل أنت تتعمد التجاهل عن الإجابة؟

كان الرد مفعمًا باللا مبالاة:
-تستطيعي أن تقولي نعم
كانت نظراتها إليه مليئة بالتفكير في إيجاد طريقة لمعاقبته
-لماذا؟
كان يبدو عليها الهدوء ظاهريًا، ولكن ما في الداخل كان صراع بين قاتل مأجور يفكر في أكثر الطرق التعذيبية التي عرفتها البشرية حتى يمارسها مع ذلك الكائن الذي يبدو عليه اللا مبالاة أثناء قول ما لا يصلح أن يقال، وصراع مع الأنثى الهادئة التي تغفر دائمًا بعد قيام زوجها بفعل ذلك من حين إلى آخر عندما يتعمد مضايقاتها من باب المزاح معها وإثارة غضبها

يتناول رشفة من الفنجان الذي أمامه متجاهلًا ما تقوله، ويقول هو قبل أن يعيده مرة أخرى على الطاولة ويبدو على وجهة الضيق:
-أعلم أن النساء تحب الكلام حب مخلص كـ حب الأرنب للجزر وأنا صحتي أصبحت لا تتحمل هذا أبدًا، والفضل يعود إليك،فأنت قد أهلكت البنية الجسدية التي كانت أفضل من بنية المصارع الشهير الذي نسيت اسمه
يزفر من بين شفتيه في قوة ويقول حزينًا:
حتى الذاكرة ما تركت بها شيء
يضع الفنجان أمامه بجوار الكتاب ويعود بظهره إلى الخلف ويسند رأسه وينظر إلى السقف متأملًا قائلًا متفلسفًا:

حقًا إن النساء لا يرضيهن شيء ولا يفهمهن أحد ولا يشبعهن حب ولا يجبرهن شكر ولا يحيط بهن أمور الدنيا فضولًا وشغفًا
ترفع السبابة اليمنى محذرة قائلة:
-يكفي ذلك فأنت تعلم أنى أحب النظام وليس أكثر من ذلك، وإذا فعلت ذلك مرة ثانية فلا أحد يعلم كيف سيكون رد الفعل،حتى أنا لا أعرف ماذا سيكون رد الفعل الذي سأقوم به

يرفع رأسه عن المقعد وينظر إليها ليراها ما زالت تنظر إليه ورافعة السبابة إلى أعلى، فلم يستطع أن يستمر في سماع كلماتها أكثر من ذلك دون أن يضحك مستسلمًا لمشاعره تجاه زوجته، ولم يلبث لحظة واحدة من ضحكته إلا وهي أيضًا أعلنت ضحكاتها التي يذوب فيها زوجها عشقًا

يقول مازحًا:

-وماذا عن الصحة؟

تبتسم في استحياء وتنظر إلى الأرض:

- الصحة رائعة

-يعني في الأمان؟

-لا تقلق

ولا تنس أنك من أصل صعيدي ولا يُعرف عن أهل الصعيد إلا أنهم رجال في كل شيء

-ولكن يجب أن أتأكد بنفسي الآن، حتى تعود ثقتي بذاتي، وإلا سأكون مذبذب الفكر وسأشعر إنك تقولين هذا فقط من أجل رفع روحي المعنوية

تبتسم ريهام أكثر وتنظر له:

-الآن؟

يقول بصوت منخفض ونبرة حزينة:

-نعم الآن حتى أتأكد فقط وليس لشيء آخر

ثم يقول سريعًا في حماس:

ثم لا يوجد أفضل من القيام بتلك بالأعمال إلا في حينها حتى نشعر بلذتها، ألم تستمعين من قبل إلى المقولة الشهيرة التي تقول لا تؤجل عمل اليوم إلى الغد؟!

تبتسم وتقول مازحة:

-لا لم أسمعها من قبل ولكن سمعت المقولة التي تقول يجب أن تؤجل هذا العمل بعد نوم خالد

يقول متعجبًا:

-أنا لم أسمعها من قبل هذه الكلمة، على كل حال من قال هذه الكلمة كان

لا يعلم أنني في حاجة إلى الاطمئنان على ذاتي وإلا كان تحلى بالصمت أو قال الآن ثم الآن
-أنت تأكدت بالفعل فور وصولك من العمل، وهذا ما جعلني أتأخر في تحضير الطعام ثم هذا دليل قاطع وكافٍ جدًا إنك جيد، بل جيد جدًا وليس جيد فقط ثم لا تنس أن الوقت غير مناسب فبعد دقيقة واحدة سيصل خالد، ولا تنسي أنك السبب في تأخر تحضير الطعام، فأنا دائمًا أقوم بتحضير الطعام قبل وصولك من العمل ووصول خالد من المدرسة
يضع قدم على قدم ويتقمص الهيبة والوقار وينظر إليها بتعالٍ وتفاخر وشموخ
-أعتقد أن الخسارة بالنسبة لك ستكون أعظم وأكبر، ولكن أنا أعلم جيدًا تفكير النساء
تقول في صبر نافد:
-وما هو تفكير النساء الذي تتحدث عنه حضرتك؟
يقول ويبدو عليه الحنكة:
-هن يكن في أشد الحاجة إلى الكثير من الأشياء الجميلة مثل هذه، ويحاولن أن يخفين هذا، ولكن لم ينجحن دائمًا ولكن لا بأس،لا بأس على الإطلاق
تبتسم ريهام:
-أنا لا أعرف من أين تعلمت هذا الوعي الكامل، الذي يجعلك تتقن كل هذه الأشياء التي تروق لي
يبدو عليه التفاخر:
-أنا خبير في مثل هذه الأمور من العلاقات، غير أنها قدرات خاصة فريدة من نوعها وهناك العديد من التجارب تشهد على ذلك، فأنا أحظى بتاريخ عظيم من الفتوحات التي تجعلني مرشح للحصول على أفضل جائزة لأفضل رجل دنجوان تنظر إليه ريهام بعينين محدقتين، نظرة لا تختلف كثيرًا عن نظرات فرناندا أندرادى في دور إيزابيلا روسي في فيلم the devil inside ، وتقترب منه في ثبات وصمت وهدوء يجعل من أمامها يشعر بخوف شديد حتى اقتربت منه وانحنت عليه ووضعت يديها على جانبي الكرسي الذي يجلس عليه واقتربت

منه كثيرًا ونظرت في عينيه
-يبدو أنك مرهق كثيرًا من هذه الحياة، ولذلك أنت في حاجة إلى المغادرة منها بدون العودة إلى هنا مرة ثانية، فأمثالك لا يليق بهم الحياة مثل ما لا يليق بي الأسود عليك بعد فقدانك
-
كان يبدو في عينيه الخوف أكثر مما كان يبدو في عين سيد شيبه عندما قال له الساحر:
»روح هات الكيس يا شيبه«، مما جعله يبتلع ريقه ويبدو على وجه الشحوب ويبدأ في الاعتدال في جلسته وينزل قدمه عن الأخرى وهو مكبل بالأغلال كطالب يجلس أمام المعلم
-لم يخبرني والدك أنك تفعلين أشياء غير إنسانية، ولذلك يجب عليك أن تتذكري جيدًا المادة المائتين وأربع وثلاثين عقوبات من الدستور، والتي تنص على أن القاتل عن عمد عقوبته الإعدام، وأنا أرى أن شخص مثلي لا يستحق أن تسجني بسببه يوم واحد، فهل ستلقين بنفسك في التهلكة بسبب أمر لا يستحق؟
تقول في هدوء وبصوت يكاد أن يسمعه برغم وجود سنتميترات بينهما:
-إن لم تصمت الآن فلن أجعل أحد يستطيع التعرف على ملامح وجهك
ينظر إليها في خوف ويشير بيده إشارة تعني أنه في حاجة إلى الماء وكان يتمتم ويقول:
-أنا لا أعلم لماذا تأخر خالد!
يتأخر عندما لا أريده أن يتأخر،ولا يتأخر عندما أريده أن يتأخر
تضغط على جانب شفتيها السفلى بأسنانها العليا تعبيرًا عن الغضب والتفكير في عقاب له
-ماذا تقول أنت؟
يردد وهو يتلعثم:
-مياه،مياه، أريد مياه،أشعر أن حلقي جاف جدًا
يستمع كل منهما إلى صوت جرس المنزل وطرقات متتالية على الباب بشكل

مستمر لا تنقطع،ابتسم محمد بعد العبوس وعاد الأمل في عينيه مرة ثانية وتبدل الحزن بالسعادة وحل الاطمئنان بعد الخوف
-يبدو أنك حصلت على عدة أيام إضافية في هذه الحياة، ولكن لا تقلق سيأتي اليوم الذي ستحصل فيه على كل شيء أريده وبمنتهى الإخلاص وبكل جدية،والآن اذهب وافتح الباب حتى أحضر باقي الطعام من الداخل ولا تتسكع وأنت ذاهب مثل عاداتك،أريدك أن تسير كما تسير الرياح
يبتلع ريقه ويقول:
-سأكون أسرع من البرق وأخف وزنًا من أخف وزن في الوجود
تنظر إليه ريهام في فخر بشعور الانتصار
-أنتم هكذا يا جنس آدم لا تأتون بالحسنى أبدًا
من أكثر المفاهيم الخاطئة لدى الرجال وخاصة في مجتمعاتنا العربية والتي تتمكن من عقولهم وتبدو في سلوكياتهم بشكل طبيعي وبطريقة فعالة هي الإيمان القاطع لديهم أنهم خلقوا فقط لكي يفعلوا الصواب الذي لا تستطيع المرأة القيام به بل لا تعرف الطريق إليه إلا تحت قيادة الرجل
وهي أيضًا غير قادرة على حسن التصرف كالرجال الذين خلقوا لإدارة الحياة
يدخل خالد ويضع حقيبته على الفوتيه ويقول:
-متى ستمنحني المفتاح؟ حتى لا أقف على الباب هكذا أنتظر أحدكم يعطف عليّ ويفتح لي
-بعد الالتحاق بالجامعة
-إذا كان الأمر كذلك فلا بأس فقد مضى الكثير ولم يتبق سوى القليل والقليل هذا لا يتعدى عدة أيام

يقول خالد وهو جالس على مائدة الطعام:
-اليوم كان رائع ومميز جدًا في المدرسة
كان والده يتحدث معه باهتمام شديد وإذا تحدث خالد استمع والده بكل إخلاص،كان يعلم أيضًا أن المعنى الحقيقي لدور الأبوة يجب ألا يقتصر على

السلطة العليا بين الآباء والأبناء بل هناك دور أفضل من ذلك وهو الصداقة التي تقلل من حجم المساحة بينهما
يتناول محمد كوب الماء الذي أمامه ويشرب منه قليلًا ثم يتوجه سائلًا:
-ولكن أخبرني عن سبب التميز الذي كان في يومك
-ذهبت إلى المكتبة وقرأت الجزء الأخير من الكتاب الذي كنت أقرأ فيه منذ يومين
يبتسم والده ويقول في هدوء:
-الكتب تمنح التميز والتميز يعطي انطباع جيد لدينا عند من لا يقرأ حتى لو تحدثنا بما لا يعلم
صمت قليلًا وهو ما زال ينظر في عينيه، ثم أكمل:
كل يوم يرى الإنسان فيه نور الشمس وهو يتسلل غرفته هو يوم مميز،كل يوم يرى فيه الإنسان جمال الطبيعة وهي تتجلى عليه دون حجاب هو يوم مميز،كل يوم يدرك الإنسان الخطأ من الصواب والعدل من الظلم والخير من الشر هو يوم مميز،التميز لا يكمن في الأشياء كما يعتقد الجميع وإلا كانت بارت السلع، التميز يكمن بداخل كل إنسان ومن ثم يقوم هو بعملية التصنيف
كانت كلماته تروق لخالد كثيرًا وتروق أيضًا لريهام التي تتوجه له دائمًا بذكر ذلك وتشكره على حسن التعامل الذي يقوم به مع كل منهما
وكانت ريهام هي الأخرى تنظر له مستمتعة بما يقوله زوجها التي تراه عظيمًا في كل شيء، وتراه رجلًا عظيمًا،حقًا إنه رجل عظيم
إنه نزع رداء الحمق الذي يتحلى به الكثير من الذكور قبل أن يتحلى به
يبدو أنه كان يقوم بتأهيل ذاته قبل أن يخرج على العالم ويعيش معتنقًا فكر القبيلة التي نشأ بها، حتى يكون مميز
كـتميز الربيع بالزهور والسماء بالنجوم

تقول ريهام أيضًا لابنها اذتي تتحدث معه بطريقة لا تقل شأنًا عن طريقة والده، فكلاهما سبق لهما الاتفاق معًا من قبل على حسن اختيار الكلمات وإتقان

سياقها أمام خالد منذ الصغر، حتى لا يتلوث عقله بأسلوب تقليدي وأفكار خاطئة لا تليق بالمكانة التي يقوما بإعداده لها منذ ولادته

-إذا لم يحصل الإنسان على المعرفة في هذه الحياة من هؤلاء العظماء الذين وضعوا بين أيدينا خبرات حياتهم الطويلة من خلال أقلامهم والتي حصلنا عليها نحن بسهولة بالغة فحتمًا سيصبح بلا مكانة وبلا شأن،سيصبح شأنه شأن الذي يحاول صناعة العجلة مرة ثانية، وهذا في حد ذاته إهدار للوقت ومشقة على البدن

-هناك فجوة كبيرة جدًا ما بين ما نتعلم وما أقرأ،أشعر أن ليس هناك مقارنة بين ما نتعلم وما في الكتب، ولذلك أشعر دائمًا أن هناك شيء خطأ في النظام التعليمي لدينا القائم على التلقين دون الدعوة إلى التفكير،على سبيل المثال كنت أمس شارد أثناء شرح المعلم وفجأة وبدون أي مقدمات وجدته يقف أمامي ويصرخ قائلًا:

»أنا أعلم هذا الكلام جيدًا ولكن أنت لا تعلمه ويجب أن تحفظه حتى تفهم« مع العلم أن كل ما يقوله لا يدعو لشيء من الرغبة في المعرفة، ثم يا ليته يعلم أن الشرود ليس أمرًا قبيحًا بل شيء يستحق التدعيم، ألم يستمع لقول آلبرت أينشتين عندما قال الخيال أهم من المعرفة؟!

يرد والده:

-الخيال حقًا مهم ولكن وضع الأمور في غير مواضعها شيء خاطئ، كالذى يعالج قبل أن يقوم بعملية التشخيص

ترد الأم قائلة:

-ليس كل ما يعتقده الإنسان صحيحًا وإلا كان الجميع أنبياء مرسلين

-ماذا تقصدين؟

-سيأتى اليوم الذي تكون فيه كلماتك مسموعة رغم انخفاض صوتك

-أريد ذلك اليوم

-متابعتك باستمرار لكل ما هو جديد يجعلك قادر على الوصول لهذا مبكرًا، وبالمناسبة أخبرني

هل انتهيت من الكتاب الذي بدأت في قرأته منذ ثلاثة أيام؟
يبدو عليه الاهتمام بالطعام أكثر من الاهتمام بأي شيء آخر
-أعتقد أنه سيحتاج إلى ثلاة أيام أخرى، فهو يحتوي على الكثير من الأمور التي تحتاج إلى الوقوف عليها والتفكير بها والبحث عن مصادر أخرى لها
يقول محمد مشجعًا خالد:
-ولكنك تستطيع القيام بهذا على الوجه الأكمل، وبالمناسبة سلسلة الروايات التي أخبرتني عنها منذ يومين أنا سأجلبها لك اليوم في المساء حتى تقرأها في أوقات الفراغ
يقول خالد مبتسمًا فرحًا:
-شكرًا لك،حقًا أنت أفضل رجل في هذه الحياة
تقول ريهام مازحة متقمصة الغضب:
-وأين أنا من هذا المدح والثناء؟
يقول خالد ضاحكًا:
-أنا أقول له أفضل رجل وليس أفضل إنسان
يبتسم ويقول مغازلًا:
ثم كيف يكون هو أفضل إنسان ونحن لدينا هذه الأم والزوجة العظيمة التي تتوقف الأيام ويعم الظلام وتُضرب الشمس عن السطوع في غياب ابتسامتها؟
ثم لا شك فيه أن أفضل إنسان في هذه الحياة هو
ينظر إليهما ويبتسم حتى يشعر كل منهما أنه هو أفضل إنسان ويقول:
أعتقد أنه يعرف نفسه جيدًا
كان يفعل ذلك عن عمد حتى يشعر كل منهما أنه لا يقصد أحد سواه، وكان كل منهما يعلم هذا جيدًا،فهو كان يحسن كسب قلب كل منهما دون أن يشعر الآخر أنه في المرتبة الثانية بالنسبه له
يقول والده متبسمًا:
-يبدو أنك تجيد فن إرضاء الجميع ولا تحسن مضايقة أحد
-لقد تعملت هذا منك فأنت رجل سياسي بارع تجيد الدبلوماسية في أبهى

صورها
-ولكنك تفوقت بمراحل على المعلم، يبدو أنك أتقنت كلمة ليوناردو دافنشي عندما قال من لا يتفوق على معلمه يكن تلميذًا تافهًا
ينظر إلى زوجته قائلًا:
هل تسمعين يا ريهام ما سمعت؟
-سمعت ولكن أشعر أنه ليس حقيقي،تعلمت أن الإنسان لا ينعم بالحياة إذا لم يتجاهل، كما تعلمت أن هناك العديد من الأشياء يجب أن نتعامل معها على كونها هلاوس سمعية وبصرية لا يصلح لها الالتفات وإلا سنكون ممن يركضون خلف الرياح حتى يمسكون به
يقول محمد وابتسامة الفخر على وجهه:
-يبدو أن خالد سيكون حقًا ملهمًا للجميع بكلماته وخطاباته، فهو يحسن فن سياق الكلمات بالأسلوب الذي لا يختلف عن أي فيلسوف عظيم
الثناء هو من أكثر الأشياء التي يفتقدها الكثير من الناس برغم النتائج الهائلة التي يجنيها الإنسان من وراء هذه العملية التي يجب على الإنسان القيام بها من حين إلى آخر، حتى يتمكن من كسب قلوب الأخرين وهذا الأمر لا يحتاج إلى مجهود بقدر احتياجه إلى تفكير فيما سيعود إليه من حب الناس إليه
يتوجه خالد قائلًا:
-لا داعِ للتعجب الذي يبدو عليكما، فالأمر أصبح بديهي ومألوف، ولكن نحن من نتغافل ونغض أبصارنا عن الكثير من الأشياء ولا ننظر إلا إلى ما يتوافق معنا أو ما يجعلنا نشعر بالراحة
وأعتقد أن الإنسان هو الذي يتعمد عدم رؤية حقيقة الأشياء وهذا يعود إلى
ثم يقول مازحًا:
للأسف الشديد ليس لدي وقت حتى أذكر الأسباب التي تجعل الإنسان يتعمد عدم النظر إلى رؤية حقيقة الأشياء،ولكن من الممكن أن تحضرا لي بعض الندوات التي أقدمها وستدركان الموضوع أكثر
تنظر ريهام إلى خالد ثم تنظر إلى محمد وهي باسمة والفخر والسعادة يبدوان

على وجهها مما تسمع من أسلوب حوار ناجح مع ابنها
-أشعر أني قدمت إلى البشرية إنسان سيكون مثال للمفكرين والفلاسفة في هذا القرن بل القرون القادمة أيضًا
كان محمد ينظر إلى ابنه خالد وهو يتحدث مع والدته والحزن يبدو في عينيه حتى رأى خالد هذا في عين أبيه مما جعله يشعر بالقلق
-ماذا بك؟
هل تشعر بشيء؟
تنظر له ريهام ويبدو في عينيها الخوف والهلع:
-ماذا بك يا محمد؟
عندما يبدأ الخوف في التسلل داخل الإنسان تصبح أفعاله ملفتة للانتباه، مثيرة للشك، موضع للضعف
كان محمد ما زال ينظر إلى خالد الذي يجلس على اليسار مواجهًا لوالدته
-لا أريد أن تخشى شيء،
أريد دائمًا منك أن تكون شامخ الرأس لا تنحن مهما عصفت بك الظروف،أنت رجل والرجل لا يعرف الانحناء،لا تخف من إنسان مهما كانت التحديات، ومهما بلغت بك الصعوبات،افعل الخير ولا تنتظر مقابل،وكن شجاع ولو كانت حياتك متوقفة على موقف تكون به كذلك،ولا تنس أن إهانة المرأة ليست بها شيء من النخوة أو الكرامة أو العزة،إهانة المرأة من إهانة الوطن وأنا قد غرست بك حب الوطن واحترام المرأة
كان قلب ريهام يخفق بشدة ووجها تبدل إلى لون ليس لونها، وأنفاسها تتسارع مثل ما يتصارع رجال المصارعة
-خالد من فضلك ادخل غرفتك
-أنا محتاج أفهم مقاطعًا خالد
-ادخل غرفتك الآن
يقوم خالد من على المقعد ويحمل حقيبته ويدخل غرفته وما زال محمد ينظر في اتجاه المقعد وعيناه مليئتان بالدموع التي فشلت عيناه في إخفائهما

-محمد، محمد
تقوم ريهام وتقف خلفه وتضع يديها الاثنين على كتفيه لينتفض مفزوعًا كالذي كان شاردًا وفجأة سمع صوت مرتفع بجوار أذنيه مما أدى إلى خوف ريهام أكثر، وعلامات التعجب والاستفهام تبدو على وجهها تريد إجابة لها
تقول ويبدو عليها الخوف الشديد:
-محمد
كانت حينها بدأت تذرف عينا زوجها بسيل من الدموع التي لا تتوقف، مما زاد من خوفها حتى وقفت بجواره ووضعت رأسه في حضنها كأم لم تر ابنها منذ مائة عام، وكانت هي الأخرى تبكي دون أن تعلم السبب وراء هذا البكاء الذي تراه في عين زوجها التي لم تره من قبل منذ زواجهما
كانت تبكي وتقول له وهي تفرك شعر رأسه بأنامل أصابعها: اهدأ محمد،-اهدأ قليلًا،لا شيء يستحق،كل شيء على ما يرام
وبعد قليل بدأ محمد يهدأ ويعود إلى السكون مما شجع زوجته أن تأخذ بيده وتذهب إلى مكان آخر وأجلسته وجلست بجواره ومنحته كوب من الماء حتى شرب منه وأخذته ووضعته على الطاولة وجلست أمامه
-ماذا بك؟
-أشعر بالخوف
-من ماذا؟
وما الذي تقصده من حديثك هذا؟
وما هو سبب الشعور بالخوف؟
ومنذ متى وهو يراودك؟
كان يبدو على عينيه استغرق في بحر عميق من التفكير
-أشعر أنه لن يعيش كثيرًا،أشعر أنهم لن يتركوه يهدم الفساد ليبني صلاحًا جديدًا
تنظر له في استنكار:
-من هم هؤلاء الذين تتحدث عنهم؟

ومن هو الذي لن يتركوه؟
أخبرني،أشعر أني غير قادرة على فهم شيء منك،أنت كنت سعيد منذ دقائق والآن تبدو لي حزينًا غامضًا، غير قادرة على فهم سبب ذلك
كان يبدو عليه الشرود ولكنه كان يتحدث بكل ما لديه من شعور:
-من الذين يخشون من أصحاب العقول المفكرة،ألا تعلمين أن الذي يحمل عقلًا أقوى ممن يحمل سلاحًا،من يحمل سلاحًا أضعف من الذي يحمل فكرًا، والذي يحمل فكرًا قادر على بث الخوف والرعب في قلوب الجميع من الحمقى الفاسدين، وما أكثر الفاسدين في هذا الوطن وعلى هذه الأرض
تقول ريهام في خوف شديد وتوتر يفرض نفسه على كلماتها ووجهها:
ماذا تقصد يا محمد؟
لا تقل إنك تتحدث عن ابني،اكذب عليّ وقل إنك لا تقصد خالد
كانت حينها أنفاسها تزداد ونبضات قلبها تكاد أن يستمع لها من يسيرون في الشوارع الخلفية
أخبرنى من هم هؤلاء الذي يريدون قتل ابني؟
من الذين يريدون حرماني من فلذة كبدي الذي سهرت الليل من أجله؟
من هم هؤلاء المجرمين الذين يريدون أن يأخذوا روحي من جسدي؟
أخبرني حتى أذهب إليهم وأقتلهم واحدًا تلو الآخر
الغضب هو الشعور الذي يجعل ألسنتنا تفشل في إحجام ما لدينا من كلمات بذيئة ونبرة لا تليق وتصرف غير إنساني

***

كان واقف حشد كبير من الطلبة والطالبات وكانت هناك فتاة واقفة على مكان مرتفع من الأرض وتصرخ بصوت مرتفع:
-نحن لا نخشى الموت،نحن لا نخشى الحكومات والأنظمة،نحن لا نخشى المحاكم والنيابات،نحن نتصدى لكل جاهل متعصب،لكل ديكتاتور يعتقد إنه ذو شأن ولا يوجد من يتصدى إليه،أناديكم وأقول لكم من هنا وبصوت مرتفع،صوت لا يعرف الخوف،ولا يخضع للتراجع،أنت عبء علينا وعلى أرضنا،أنتم عبء على

أعتاقنا
كانت تلك الفتاة تخطب في الجميع بخطاب حماسي قادر على تحريك كل من يستمع إليها إلى ما ترغب فيه، هي لإدراكها ووعيها بأن الكلمات المفعمة بالحماس قادرة على إشعال العاطفة، وتحريك الساكن بداخل كل مستمع؛ مما يجعله خاضع للتوجيه الذي تقوم به من خلال سياق كلامها بطريقة ناجحة

وفى ظل انشغالها بالهتاف ضد ما تراه لا يصلح للبقاء، وجد صديقها يخرج من مكتب عميد الجامعة بوجه غير الذي ذهب به، فكان هو من قام بعمل تلك الوقفة الاحتجاجية التي أدت إلى خوف عميد الجامعة؛ مما أدى إلى استدعاءه، قبل رؤيتها لخروجه الآن من المكتب
تترك غيداء ذلك الجمع المشهود الذي يقف أمامها مستمعًا إلى صوتها المرتفع، وحماسها الذي لا ينقطع، وتركض نحو مكتب عميد الجامعة الذي كان لا يبعُد عنها سوى عدة أمتار، لكي تعرف ماذا حدث له حتى يخرج والحزن على وجهه بعد أن كان الحماس يسيطر عليه قبل أن يأمر العميد الأمن بإحضاره إليه في مكتبه
يقول توني في غضب ويبدو عليه الاندهاش بما سمعت أذناه من خبر لم يتوقع إنه يحدث:
-كيف يحدث هذا؟
هذا أمر لا يروق لأحد،أنا حقًا غضبان، غضبان جدًا،هل هذا أمر يعقل؟
تتدخل غيداء صديقة مراد والتي كانت تعرف في الجامعة بالفتاة المناضلة الثورية، صاحبة الشخصية القوية والصوت المرتفع بالنضال دائمًا، ضد الظلم والقهر الذي يفرض على الكثير من أصحاب السلطة والنفوذ، برغم أنها كانت من الطبقة الأرستقراطية، ولكنها كانت ترتدي دائمًا ملابس الفتاة الثورية التي تتناسق مع شخصيتها القوية المناضلة ضد فساد الرأسمالية، ولانتمائها للطبقة الكادحة والمظلومين، وهذا ما تعلمته من أصحاب الفكر اليساري الذي انتمت إليه قبل التحاقها بالجامعة، حيث أصبحت أشهر في الجامعة من عميد الجامعة

ذاته
كانت غيداء تتحلى بالشجاعة ومعروف عنها أنها صاحبة إرادة في التغيير، حتى أطلق عليها من حولها لقب تمارا بانك من كثرة التشابه بينها وتمارا في الصفات والوجه أيضًا
تقول في شموخ وبنبرة مليئة بالثقة:
-ماذا حدث يا مراد؟
يرد في حزن:
-فصل عشرة أيام
يبدو علي وجهها الغضب:
-وماذا ستفعل؟
-وماذا يجب أن أفعل؟
-افعل ما يجب عليك فعله
-وما هو الذي يجب على فعله؟
-وما هو الذي لم يجب عليك فعله؟
-التفوه بكلمة واحدة
-هل هذا ضعف؟
-هذا العقل
-العقل الذي يخضع لا يختلف كثيرًا عن عقول العبيد
-هل رؤيتك لي أصبحت هكذا بعد كل ذلك؟
-لا تجعل غضبي يزداد أكثر من ذلك،أنت لن تذهب بهذه السهولة التي اعتقدها ذلك الأخ الذي بالداخل
-ثم ماذا بعد؟
-صوت الحق يبث الرعب في قلوب الفاسدين
يرد توني عليها:
-لم أتوقع أن العميد سيقوم بفصله هكذا
-هذا لا يوجد له وصف إلا شيء واحد

-ما هو؟
- تخلف،هذا تخلف
نعم تخلف، تخلف بكل المقاييس، كيف يفعل هذا معه؟
كيف يفعل ذلك الأحمق الذي بالداخل؟
مشيرة بيدها إلى مكتب عميد الجامعة:
ألا يتعلم هو وأمثاله مما حدث لهم من قبل؟
آلم يكن من سبقهم عبرة لمن لا يعتبر؟
يجب أن يعلم جيدًا أننا لن نصمت مرة ثانية على تلك الأفعال
يقول توني في صوت منخفض وهو يبدو عليه القلق والخوف:
-غيداء هدوء من فضلك لا داعٍ لهذه العصبية، ولا تنسي أننا أمام مكتب العميد وأنت صوتك سهل سماعه للأمن، الذي لا أعلم لماذا يتركك حتى الآن تفعلين ما تفعليه الآن
تقول في غضب وبصوت مرتفع:
-أنا لا يقلقني لا رجال أمن ولا رجال سلطة،ثم أنا أقول ما أريد وبأعلى صوت، حتى لو كان أمام المقر الذي يحتوي على
أجساد تُعذب،واعترافات جبرية،واتهامات ليس لها أدلة،أنا لا أخشى من أحد ولا أقيم احترام لمن لا يحترم أفكارنا وعقولنا
يقول مراد أيضًا في هدوء:
-غيداء، حديث توني على صواب،لا يصلح الحديث هنا، ثم لا يغير حديثك شيء مما حدث
ثم يقول ويبدو عليه الحزن:
-انتهى الأمر
يتدخل صديقهم مؤمن في الحديث ويقول في شجاعة:
-ولكن هذا ظلم ولا يصلح أن نصمت على هذا،الصمت سيجعلهم يفعلوا ذلك بكل من لديه رأى وعقل وإرادة في التصدي للظالمين
ترد غيداء في حماس:

- نحن لن نمشي من هنا،نحن سنقوم بعمل اعتصام هنا في الجامعة حتى يتراجعوا عن قرارهم الأحمق الخاص بالطالبات وقرارهم الأحمق أيضًا الذي اتخذه ذلك الحيوان ضد مراد،
نحن لن نصمت على هذه الأفعال
تصرخ بصوت مرتفع وهي تنظر إلى مبنى العميد وهي تتعمد أن يسمع صوتها: سامعني؟
نحن لن نذهب من هنا حتى تتراجع عن قراراتك، فاهم أم أنت ما زلت تجد صعوبة في الفهم أيها الأبله؟
أعلم أن الفهم بالنسبة لك يحتاج إلى مجهود، ولذلك أنت لا تفكر بل تفعل ما يخطر على بالك ويسعد به أسيادك
يدنو صديقهم مؤمن من تامر ويقول بصوت منخفض:
-ماذا بها غيداء اليوم؟
لماذا هي غاضبة من أمر منع الحجاب؟
أنا لا أراها محجبة حتى تتعصب وتغضب هكذا
يقول تامر هامسًا:
-أنت تعلم جيدًا أن غيداء لا تحب أن ترى شيء به إهانة لأحد وتصمت، وإلا ستكون إنسانة أخرى غير التي نعرفها
يقول مراد:
-لا داعي للمشاكل غيداء، فالأمر قد انتهى بالنسبة لي، وإذا أردتم المطالبة بشيء فيكون ضد القرارات التي اتخذت بسبب الزميلات الفاضلات وليس بشأني أنا، فشأني أقل شأنًا مما حدث للزميلات
غيداء في عصبية:
-بالطبع لا يمكن أن نصمت على هذا، بل سنتحدث وسنقول كل ما نراه مخالف للحرية،نحن خلقنا لكي نعبر عن آرائنا وحريتنا ورغباتنا،نحن لا ننتمي إلى القطيع،نحن لسنا من هؤلاء الذين يصفقون لكلماتهم ولا يفرحون بقرراتهم،لا تصمت يا مراد، لا تصمت،بل اصمد وكن كما كنت أراك وأنت تقود المظاهرات

والاعتصامات،نحن معك ولا بد أن تقود الاعتصام بنفسك حتى يعلموا جيدًا أن الضربة التي لا تموت صاحبها تجعله أقوى من قبل
-أنت تعلمين جيدًا أن عندما يجلس مسؤول من المسؤولين على المكتب الخاص به وخاصة عندما يكون مسؤول عربي يشعر حينها أنه ملك وقع عليه الاختيار بعناية من الإله حتى يمثل العدل ويقيم الحق ويأمر بالقسط
-السلطة والمال يمنحان قوة لمن ليس لديه قوة على الإطلاق، الآن فقط آمنت بكلمة فيودور دستوفيسكي حينما قال حتى الأحمق يصبح بالمال عملاقًا، حقًا إنها مصادر قوة ولكنها قوة هشة في باطنها، عملاقة في ظاهرها، تفرض الخوف على الجميع من حولها، وتبث الرغبة عند الحمقى في الاقتراب من هؤلاء وتقبيل أيديهم، وتقديم جميع فروض الطاعة والولاء دون طلب مسبق
وأردد حديثي لك،نحن لسنا من الحمقى حتى نصفق لهم، ونرضى عن أفعالهم،ونضحك لنجبر خواطرهم
تنظر إلى الجميع من حولها وتقول لهم بصوت مرتفع:
يا من تعتقدون أن الغد أفضل،أريد أن أقول لكم لا تقلقوا وسارعوا بحذف تلك الفكرة الخاطئة من عقولكم، فالغد أسوأ من السوء ذاته إذا التزم الجميع الصمت
يقول طالب صاحب اللحية الصغيرة الذي يبدو عليه التدين:
-لا نريد التسرع حتى لا نظلم أحد،الظلم حرام وله عقاب شديد، فأنا استمعت لخطيب يقول الخروج عن الحاكم حرام وأنتم تريدون فعل ذلك مع العميد الذي يمثل لنا حاكم داخل أسوار الجامعة
تلتفت غيداء إليه وتقول في غضب:
-العذاب الذي يمارسه معنا كل من لديه سلطة في بلدانا جعلنا لا نخشى من العذاب الذي يتفوه به هؤلاء التجار في المعابد
يدنو تامر من زميلته غيداء التي تعرف عنه إنه لا يحب الصوت المرتفع، ويخشى منه كثيرًا، ولا يحب الاشتراك في الهتاف والمظاهرات والوقفات الاحتجاجية ضد أي شيء، فهو مسالم جدًا في الحياة، يحب الأصدقاء مهما بلغ بهم الاختلاف،

سواء كان اختلاف عقائدي أو سياسي
- غيداء حبيبتي رجاءً التزم الهدوء بعض الشيء، فالأمر لا يحتاج الاعتصامات والوقفات الاحتجاجية التي تقومين بها بشكل مستمر، حتى يكاد أن يصل بك الأمر أن تشعرين بنقصان شيء هام في حياتك اليومية إذا ما قمت بعمل اعتصام أو مظاهرة كل يوم
تنظر له غيداء بعينين لا تعرفان التراجع:
-لا يا تامر، لا، أنت على خطأ،لا يصلح الصمت عن الجريمة وإلا سنكون متواطئين مع الفاعل، ونحن لا نتواطأ مع من ليس لديه عقل،هؤلاء ليس لديهم عقول،هؤلاء أقل شأنًا من التحاور معهم بالمنطق،هذه النوعية يا تامر تخاف أكثر مما تستحي
ثم تقول في نبرة اتهام:
أنت فاهم ولا مثل عاداتك؟
يرد تامر وهو يبتلع ريقه، ويبدو عليه الخوف من انفعال غيداء:
- أنا لا أعلم ماذا أقول لك، ولكن أنا معترض
ثم يقول في تلعثم:
والاعتراض من حقي دون عنف منك، وإلا ستكونين متناقضة تطالبين بالحرية وتمارسين الديكتاتورية،أنا معترض على أسلوبك المندفع المتهور هذا، ولكنى لا أملك شيء سوى أن أقول لك اهدأي قليلًا، وإلا سنفتقدك أنت أيضًا لمدة سنة أو عشر سنوات على حسب مزاج القاضي الذي ستقفين أمامه وأنت ترتدين الأبيض
يقول مازحًا:
ليس الأبيض الخاص بمناسك المعتمرين أو الأبيض الخاص بالزفاف، ولكن الأبيض الخاص بالاغتصاب والبلطجة، أم أنت لا تشاهدين خالد صفوان وهو يحرض على اغتصاب سعاد حسني؟
يصمت قليلًا ويقول:
القضايا السياسية لها تعذيب من طراز خاص، وهذا غير التحرش الذي سيلحق بك في الزنزانة من نفس نوع جنسك لعدم وجود النوع الآخر من البشر داخل

الزنزانة، وإلا ستكون قرية سياحية يتسابق إليها الجميع بالجرائم حتى يلحقون بها وأنت تعلمين جيدًا أننا نحب القيام بمثل هذه الأشياء
تقول في إصرار:
-الخوف لا يبني،فاهم؟
الخوف هو أكثر ما يهدم الأشياء التي يسعى لتحقيقها كل حر محب للوطن، وإذا كان على السجن، فأهلًا ومرحبًا به في أي وقت،السجن الذي تتحدث عنه لن يكون أسوء من السجن الأكبر الذي نعيش به
ثم تشير بالسبابة إلى رأسه قائلة:
اعلم جيدًا أيها الرفيق أن بإمكانهم أن يجعلوا أجسادنا محطمة داخل الجدران، ولكن العقل في السماء يلحق بما هم منه يرتجفون
ثم تصرخ في وجهه فجأة بصوت مرتفع:
والجميع يعلم
صوتها المرتفع فجأة كان يجعل أصدقاءها يخشون الاقتراب منها، فهي كانت لا تعيش دور الأنوثة التي تعيشها الفتيات، أو حتى تريد أن تدخل في علاقات عاطفية؛ لانشغالها دائمًا بالسعي لتحقيق المساواة والأمان والعدل على الأرض، وليس في المجتمع الذي تعيش فيه فقط، بل كانت تريد أن تفعل ذلك في جميع بقاع الأرض
ينظر إليها تامر ويبدو عليه الاندهاش:
-أنت مجنونة؟!
لا، أنت حقًا مجنونة،أنت تثرثرين كثيرًا أيتها الرفيقة المناضلة، ولكن عندما تذهبين إلى خلف القضبان وتجدين أمثال النساء اللاتي كنا نراهن دائمًا في أفلام نادية الجندي، فحتمًا ستعودين من هناك تطالبين بالهدوء والسلام مثل غاندي، وليست شجاعة توماس سنكارا التي تتقنيها أنت الآن
يضحك مراد على ما قاله تامر:
-أعتقد أنها أقوى مما تعتقد يا رفيق
يقول وقد بدا عليه الاستسلام للأمر:

ولكن انتهى الأمر، فأنا الآن لا بد أن أذهب إلى البيت حتى أرتاح قليلًا، حتى لا أمنح الفرصة لرجال الأمن أن يتخذوا معي موقف عدائي
يرد مؤمن مندهشًا:
- نعم؟
من هم الذين يستطيعون فعل هذا؟
ثم يقول في غضب حتى يلفت انتباه غيداء له، فهو يشعر بحب جارف لها ولكن ليست لديه الجرأة أن يقول لها شيء؛ خوفًا من رد فعلها، فهي دائمًا صوتها مرتفع ولا تستحي، وهو غير ذلك وكان هذا أحد الأسباب التي جعلته يعيش الحب الذي لم يكتب له البوح إلى المحبوب:
أخبرني من هم هؤلاء الذي تتحدث عنهم وأنا أذهب إليهم وأحضرهم إلى هنا وهم يحبون أمامك يطلبون العفو والسماح والرضا وهم تحت أقدامك
يتقمص عصبية غيداء، ويرفع سبابته مثل ما تفعل هي ويحدق في عينيه مثلها:
نحن لا نخشى شيئًا،نحن أقوياء،
أقوياء جدًا
ثم يلتفت إلى غيداء قائلًا:
أليس كذلك غيداء؟
يضحك تامر بصوت مرتفع ويقول ساخرًا:
-يبدو أنكما تناولتما حبوب تدفع بكما إلى الشجاعة وسينتهي مفعولها داخل جدران السجن،
ثم أنت نسيت يا مؤمن عندما أتى رجال الأمن في المظاهرة الأخيرة التي كانت بقيادة المناضلة
ويشير إلى غيداء، ماذا فعلت أنت؟
ذهبت إلى مكان لا يعلمه إلا الله،حتى أنا الذي أتوهم إني أعلم كل مكان في الجامعة، لم أستطع العثور عليك إلا بعد ثلاث أيام
ثم يقول متعجبًا:
ثم منذ متى وأنت تسير في المظاهرات وتناضل مع الأحرار الذين سينتهي بهم

المطاف داخل الأسوار
تقول غيداء مشجعة مؤمن وتحاول أن تجعل تامر يشعر بالذنب والاستحاء على عدم مشاركته:
-أنت رجل مناضل دمك حر يا رفيق مؤمن
تنظر الي تامر في غضب وتقول:
أنت مثال حي يا مؤمن على أرض الواقع لكل شاب مشكوك في أمره،أنت رجل لا تخشى شيئًا، وليس مثل التافهين الذين يعتقدون أن الأمان في السلامة والخضوع كانت تحاول أن تجعل تامر يشعر بالذنب والاستحاء ولكن يبدو أنه كان لا يبالي
-أعتقد أن حديث غيداء لا يقصد أحد سواي
يبتسم مؤمن فرحًا مما قالت غيداء عنه ويقول وهو يشعر بالفخر:
-لا لا تقول هذا يا تامر، أنت بإمكانك أن تصبح مناضل حر ذا شخصية قوية مثلي أنا
يشير بالسبابة إلى صدره: وغيداء،وإذا أردت أن تكون ذا شخصية قوية فأول شيء هو لا بد أن تكون لديك ثقة في النفس،أليس كذلك غيداء؟
يأتى بعض أفراد أمن الجامعة ويقول أحدهم بصوت مرتفع:
-يجب على الجميع الذهاب،لا داعي للمشاكل رجاءً،رجاءً لا داعي للوقفة هنا أكثر من ذلك،وإذا كان على القرار الذي اتخذ بشأن الطالبات، فأحب أن أقول لكم لقد تراجعت الإدارة عن تنفيذ القرار، وأمرت بإلغائه،لقد تحققت مطالبكم ويجب أن تذهبوا الآن
بدأ الجمع يفترق حتى ذهب الجميع وبقي ثلاثة رجال من أمن الجامعة ومراد وأصدقاؤه المقربين إليه، حتى قال رجل من رجال الأمن إلى غيداء التي كان له معها مواقف عدائية بسبب تطاول غيداء عليه دائمًا،
يقول في بنبرة حادة:
-لماذل كل هذا الصياح؟
يجب أن تلتزمي الحدود وإلا سنتخذ معك موقف لا يروق لك وسيعرضك للمسؤولية القانونية

تنظر إليه غيداء في اشمئزاز وتقول في غضب
كانت غيداء حينها تنظر إليه نظرة من أعلى لأسفل، وكأنها ترى شيء لا شأن له ولا قيمة، وهذا ما كانت تفعله دائمًا وهي صامتة، وإذا تحدثت كانت أشد قوة من قوة المحارب الشجاع الذي ينفرد بعدو من الأعداء الجبناء، الذين لا تبدو قوتهم سوى بين أفراد جيشه
ترفع غيداء يدها اليمنى وتقوم بالعد على أصابعها وهي تقول في هدوء وبنبرة مليئة بالثقة:
-أنت والأمن ورئيسك وعميد هذه الخرابة، لا تستطيعون أن تحركوا شعرة واحدة في رأسي
ثم ترفع السبابة محذرة، كما تفعل عند الشعور بالغضب:
لا تعتقد أنك شيء ذو قيمة أو حتى إنسان يستحق الاهتمام، ولا تتوهم أنك ربما تشغل عقلي ولو للحظة واحدة لكونك فرد أمن، فالأمن جميعًا أسفل حذائي
يتدخل فرد آخر من أفراد الأمن محاولًا تهدئة الأمور، والذي كان يحسن الحديث معها:
-يا أستاذة غيداء، نحن نعلم جيدًا موقفك تجاهنا، ولكن لا يصلح أن تخبرينا دائمًا بهذا، ثم نحن لا نفعل شيء من تلقاء أنفسنا وأنت تعلمين هذا جيدًا،نحن نقوم بتنفيذ الأوامر كما يطلب منا بدون نقاش، ولا نستطيع التدخل أو حتى اقتراح أمر
-أعلم أنك لست مثل ذلك الكائن الذي بجوارك
-أعتقد أنه يجب علينا اتخاذ موقف منك على هذا الكلام، ولكن نحن نقدر جيدًا ما تشعرين نتيجة قرارات لا تروق لك، ولا تروق لباقي الطلاب، ولكن نحن لن نفعل ذلك لكوننا نعلم جيدًا إنك تفعلين ذلك من دافع رفض الظلم، ولا تنسي أن هذا الكلام الذي أقوله لك، قادر أن يجعلني أجلس في البيت لكوني أخالف القوانين، ولكن أفعل ذلك لاحترامي لك، وأتمنى أن يكون الاحترام متبادل
كان يعلم جيدًا رجل الأمن أنها لا تحب من يتصدى لها ويقف معلنًا التحدي أمامها، فهي عنيدة إلى أبعد الحدود

-أنا أحترمك يا رامي وأحترم أخلاقك وأقدر جيدًا عملك، ولكن هناك بعض الأشخاص لا يحسنون القول، ولذلك لا بد من ضربهم على رؤوسهم بالحذاء، حتى يدركوا جيدًا أنهم لا شيء

ثم تنظر إلى فرد الأمن الذي تحدث معها بأسلوب لا يليق:

يعتقدون أنهم يفعلون شيء يستحق الاحترام، وهم مجرد كلاب ينبحون من أجل إرضاء سيدهم

يرد مراد على غيداء:

-غيداء، الأمر انتهى ومثل ما قال لك رامي، إنهم يقومون بتنفيذ الأوامر، وإذا كان على بعض الحمقى فهم حقًا يستحقون الضرب بالحذاء على الرؤوس، ولكن أخشى على حذائك من التلوث

يرد فرد الأمن الأول في تكبر واستعلاء، وهو يرفع الجهاز الذي في يده حتى يخبر الإدارة أن هناك اعتداء على الأمن من قبل بعض الطلاب المشاغبين:

-لا بد من اتخاذ موقف معكم على هذا الحديث، ولا بد أيضًا من إخبار العميد حتى يجعل منكم عبرة للجميع

كانت غيداء واقفة بين الرفاق تتحدث مع رجل الأمن بكل قوة دون أن يعرف الخوف طريق لقلبها أو وسيلة لكي يتسلل من خلالها لعقلها الذي دائمًا يدفعها للتمرد على كل ما لا يروق لها

وحينما انتهى رجل الأمن من حديثه الذي كان مفعم بالغضب مغلف بالتهديد والوعيد لها على ما قالته، استدارت قائلة في غضب:

-اسمع جيدًا أيها الحيوان،دور الخادم المخلص الذي تقوم به أنت مع أسيادك، يجب أن تتخلى عنه في اللحظة التي تقف فيه أمام من لا تخشى من نباح كلابك ولا سلطة أسيادك

وإذا كان العميد الذي تتحدث عنه، تعتقد أنه يستطيع أن يجعلني أرتجف من خلال إمضاء منه بقرار فصلي من الجامعة، فأنت مخطئ ومجنون وتستحق الشفقة بالعلاج

يمسك رجل الأمن الثاني بيد زميله قبل أن يتحدث في الجهاز ويخفض يده إلى

الأسفل:
-من فضلك أستاذه غيداء، توقفي عن هذا الكلام، نحن لا نريد أن يحدث مشاكل أكثر من ذلك، يكفي ما حدث وإذا كان زميلي أخطأ، فأنا أعتذر لك بالنيابة عنه
يقول توني:
-يا رامى غيداء تتحدث من أجل الدفاع عن الظلم، والأخ الذي بجوارك هذا يتعمد إثارة غضب الجميع، كما يتعمد عدم الفهم، حتى شعرت أنه كان يرضع من حمار وهو صغير، وأنا حاولت جاهدًا أن أخفي هذا الأمر عليه، ولكن هو دائمًا يدفعني لكي أخبره، وأنا لا أريد أن أخبره، وأنت أيضًا لا تخبره
نظر مراد إلى فرد الأمن قائلًا:
-أريد أن أخبرك بشيء،لا تحاول الانضمام للخطأ حتى يرضى عنك شخص ما تعتقد إنه سيكون بجوارك دائمًا، ولن يتخلى عنك لكون أمثال هؤلاء أقل شأنًا مما تعتقد، وأقل قيمة مما تتخيل

***

تقف روجين أمام إحدى دور العرض السينمائي ويبدو عليها القلق مما جعلها تنظر لساعة يدها عدة مرات قبل أن يكتمل دوران عقرب الثواني في المرة الواحدة، وعندما رفعت عينيها عن ساعة يدها وجدت ما كانت تقلق من أجله وجدت شادي يقترب منها وهو يبتسم وينظر إليها نظرة بها شيء من الحب يقترب منها شادي، ويقف أمامها وينظر إلى عينيها وهو يبتسم:
- أنا آسف جدًا على التأخير
بنبرة حادة ووجه يبدو عليه العبوس:
-كل ذلك تأخير؟
أنا أنتظرك منذ الكثير
كانت نبرات صوتها واضحة وكلماتها حادة ونظرات عينيها تؤكد جدية القول، تتحدث بطريقة جادة كرجل عسكري يقف أمام جمع من الناس يلقي بيان في حاجة إليه الجميع، وبرغم ذلك لم تتقلص الابتسامة على شفتي شادي أو يبدو

عليه الضيق، بل كانت الابتسامة على وجهه تزيد في وسامته
-أنا أعلم إنه كان يجب على الحضور مبكرًا، ولكن أعتذر عن التأخير للمرة الثانية، فهذا خارج عن نطاق سيطرتي وإلا كانت الأدوار تبدلت، وأنا من أتيت مبكرًا أنتظر حضورك
بدأ الغضب يزول قليلًا عندما وجدت ابتسامته الجميلة ما زالت مرسومة على وجهه، وكلماته قادرة على إصلاح الأمر
- هل بإمكانك أن تخبرني عن السبب وراء تأخيرك هذا؟ والذي جعلك لا تحترم ميعاد لديك
ثم تستطرد قائلة مشاكسة:
أم أنت لا تقيم لتلك المواعيد احترامًا؟
نظرة بها حب،ووجه يبدو عليه السعادة،وصوت مليء بالشغف،وإحساس راق لا يريد إلا السكون بجوار من يحب، هذا ما كان يبدو عليه
يقول مغازلًا:
- وهل ذكر الشيء الذي جعلني أتأخر عليك سيكون كافيًا أن تغفري لي خطيئتي، وتمنح وجهك الابتسامة المشرقة التي تبدو كإشراق الشمس عند النهار؟
كان يعلم جيدًا أن الأنثى كائن في حاجة إلى معاملة من طراز خاص،معاملة راقية تناسب مشاعره النبيلة،كائن عظيم في إحساسه، ملاك في براءته،طفل في أفعاله التلقائية،حالم بالمدينة الفاضلة التي يملؤها الحب وليس شيء آخر سواه كانت تشعر أنها ذات شأن لديه للدرجة التي جعلته غير قادر على تحمل رؤيتها حزينة أو غاضبة من أفعاله
كانت تحاول أن يبدو عليها ظاهريًا عدم الاهتمام بالأمر؛ حتى لا تجعله يشعر أن الفضول يهيمن على عقلها ويسيطر على أفكارها، ولكن ما في الداخل نقيض ذلك تمامًا
فهي في أشد الاحتياج لمعرفة ذلك الأمر المجهول بالنسبة لها، الذي جعله يتأخر هكذا
- مهما كان لديك من أمور مهمة كان لا بد من احترام الميعاد،على كل حال

ليس مهمًا
كان لا يرى في عينيها إلا كلمة واحدة تتكون من ستة أحرف،كانت تريد أن تجعل هذا الأمر مكنون في داخلها دون أن يراه في عينيها
يقول هامسًا لها وما زالت ابتسامته الجذابة تبدو على وجهه:
- هل أنت حقًا لا تريدين معرفة ما جعلني أتأخر عليكِ؟
تحاول أن تذهب بعينيها بعيدًا عن النظر في عينيه، فهي تعلم جيدًا أنها تكذب، وتعلم أنه يعلم أنها تكذب، وتعلم أنه يعلم أنها تعلم أنه يعلم أنها تكذب
ولكن أين تذهب بعينيها، فكل الطرق إلى عينيه تؤدي
يبتسم شادي:
-أخبرني
كان يبدو على وجهها عدم الفهم من المقصود عندما نطق شادي بهذه الكلمة
- عن ماذا أخبرك؟
-هذه الكلمة صاحبة الستة أحرف
- ماذا تقصد؟
-رأيتها في عينيك
-هل أنت تجيد قراءة لغة العيون؟
-أجيد القراءة بعدة لغات ليس من بينهما لغة عينيك
-وكيف قرأت ما في عيني؟
-يلهم من يشاء، ثم يبدو أن عينيك لا تستطيع إخفاء هذا ولا تنجح في الحفاظ على أسرارها
ثم يبتسم ويقول:
ولكنها تروق لي
كم يصبح وجه الفتاة جميل مثل القمر، وسعيد مثل فرحة طفل صغير منتظر شروق شمس يوم العيد، عندما تجد من يفهم نظرات عينيها ويفهم رغباتها دون أن تتحدث
محاولة تقمص الجدية:

- ثم ماذا؟
يبتسم ابتسامة توحي أنه يعلم أنها تتصنع شيء غير موجود،كما أومأ برأسه علامة على كونه فهم ما تريد أن تقول هي
- أعلم أن من الاحترام ذكر السبب الذي أدى إلى التأخير
حينها شعرت أنها لا تستطيع إخفاء شيء، فهو يمتلك من المهارة ما تجعله قادر على معرفة ما بداخلها
-سبب التأخير يعود إلى عقد اجتماع فجأة دون أن أعلم به من قبل، وكان يتعين على أن أكون به، كما كان لا يصلح أن أعتذر عنه أو أذهب قبل الانتهاء، وأعتقد أنه كان لا يروق لك أن أذهب دون معرفة الأمر بالشكل الكامل
تقول في جدية:
- يجب أن تنضبط أكثر من ذلك في المواعيد
تذوب الابتسامة ويحل محلها وجه عابس ونبرات مفعمة بالحزن:
- أنت على صواب
ولكن أنا أعلم أيضًا أن أمثالك يعطفون دائمًا على أمثالي من أصحاب الأفعال الحمقاء، دون أن يجعلوهم يشعروا بالندم أكثر من ذلك
تحاول إنهاء الأمر وإزاحة العبوس وعودة الأمواج المتلاطمة المفعمة بالاشتياق لتلك العينين، فتقول مازحة:
- أنت تستخدم أسلوب يجعلني لا أستطيع أن أجد كلمات لكي أرد عليك به
يبتسم شادي مرة ثانية ويقول في فخر متصنع وهو يتحسس خصلات شعره الطويل بأنامل يده:
-لكل مهنة أسرار، هذا سر المهنة
تبتسم روجين لعدم امتلاك شيء من الحيل التي تجعلها قادرة على الصمود أمامه أكثر من ذلك، من كثرة كلماته الراقية ووسامته الجذابة التي يستطيع من خلالها محو كل خطأ قام به
كان شادي شاب وسيم صاحب جسد ممشوق، ذا شعر طويل أسود اللون، وكان دائمًا يعتني بملابسه ومظهره، وكان على قدرٍ عالٍ من الثقافة والذكاء، كما كان

سريع البديهة ويحسن فن القول، وكان يعلم جيدًا كيف يتعامل مع الفتيات
قالت ساخرة:
- تأخيرك هذا سيجعل الفيلم يبدأ بعد دقائق معدود
فهل ما زالت تريد الذهاب أم اتخذت قرار بعدم الذهاب وإلغاء حضور الفيلم؟
ازدادت ابتسامة شادي وازدات معه وسامته الجذابة التي تذوب فيها روجين عشقًا
كانت هذه من الأسلحة التي يمتلكها شادي والتي كانت دائمًا تخضع هي لها معلنة الاستسلام
يقول مبتسمًا:
- يروق لي رؤيتك وأنت غاضبة
تبتسم روجين في استحياء وتنظر إلى الأرض محاولة الهروب من ابتسامته ونظرات عينيه، ولكن كلماته ما زالت تقتحم أذنيها، وتلمس قلبها، وتسكن وجدانها دون أدنى استئذان
الاستحياء من البوح بالحب هو من أكثر الأشياء التي تجعل الحياة جافة من السعادة، خالية من الابتسامة، متجردة من الرحمة، مليئة بالعنف
ثم ترفع عينيها إليه مرة ثانية وهي تحاول إخفاء الابتسامة التي تبدو على وجهها وتقول متقمصة الجدية:
- توقف عن هذا الحديث فهو لا يروق لي، فأنا لا أحب سماع هذا الحديث
كانت تعتقد أنها بمجرد قول ذلك ستجعله يتوقف عن قول ما تريد سماعه دائمًا، ولكنها تحاول أن تبدو له شيء آخر غير الذي يريد هو رؤيته
كانت تنظر إليه فور حديثها وهي تفكر
يا إلهي!!
كيف ما زالت الابتسامة على وجه ذلك الشاب لم تغادر شفتيه؟!
لماذا تفيض عينيه بالاشتياق وهي تنظر في عيني؟!
لماذا تروق لي نظراته التي لا أريد أن تبتعد من أمام عيني؟!
كانت تعلم روجين أن أكثر الفتيات يشعرن بالضعف عندما تسيطر عليهن

مشاعرهن، ولذلك أرادت أن تبدو أمامه مختلفة، حتى لا يشعر يومئ أنها أقل منه في شيء، برغم أنها تعلم جيدًا تمام العلم أنها ضعيفة من الخارج هشة من الداخل، ولكنها تحاول أن تبدو قوية أمامه

ترك شادي أنامل يده تذهب إلى أناملها بعد تردد

حقًا عندما تتشابك الأيدي في هدوء،وتتلاقى العيون بعد الغياب،وتهمس الشفاه بكلمات غير مسموعة بالأذان،كم هي ناجحة هذه الكلمات،نعم ناجحة في اختراقها للقلب والوجدان

تهمس قائلًا:

اشتقت إليك بعد ليل طويل ليس به من النور شيء،ولا من الأمل ذرة،ولا من الرحمة أمر،ليل لم يبد له فجر ونجوم السماء في اللوحة السوداء على الفنجان شاهدة

كنت أرى أمام عيني حينها خصلات شعرك، وهي معلنة الاستسلام لنسمات الهواء حتى تتطاير وتحلق بها كما تحلق حمامة السلام في سماء الحرية بدون قيود، وتجعلني أراقب خصلات شعرك في شرود

تقاطع عقله الشارد في بحر الهوى قائلة وهي تبتسم مما تراه في عينيه من حب:

-ماذا؟

يرد مبتسمًا:

- أنا أعلم جيدًا أن كل ما أقوله يروق لك، ولكنك تقولين غير ذلك

يدنو منها ليقول لها سرًا:

وعدم قدرتك على الكذب أيضًا تروق لي

تقول مبتسمة في استحياء:

- يبدو إنك تعلم الكثير

يومئ برأسه موافقًا:

- نعم أعلم الكثير، ولكن الكثير هذا قليل بجوار القليل من الكثير الذي لديك

***

-يهمس المخرج في الإيربيس قائلًا للإعلامية:
-على الهواء يا أستاذة
تبتسم مادلين وهي تنظر للكاميرا وتقول:

-مساء الخير عليكم جميعًا ومساء الخير عليك يا دكتورعباس، منورنا ومنور الدنيا معانا على شاشة قناة إن إم واي
يبتسم عباس في وقار:
- مساء النور عليك ومساء النور على جميع المشاهدين
-في البداية بنتوجه لك بالشكرعلى قبول هذه الدعوة لتكون معنا في حلقة من حلقات برنامج البداية
-شكرًا لك
-ما لا شك فيه يا دكتور عباس، أن مؤلفات حضرتك هي من أكثر المؤلفات انتشارًا في الكثير من البلدان العربية والأوربية، وهذا يعود إلى فكرك المستنير للحرية في التفكير دون قيود ولكن هذا النوع من الفكر
- ما زال غير مألوف بالنسبة للكثير من أفراد أوطاننا، وأنا اتذكر كلماتك التي ختمت بها اللقاء الماضي معنا هنا في نفس البرنامج ومن نفس المكان عندما قلت:
-أن الأفضل لا يحصل عليه إلا من يفكر
-ولا يفكر إلا من يتأمل
- ولا يتأمل إلا من يشعر بالرغبة في الشيء المفقود
-وأيضًا تحدثنا عن الأصولية والوجودية والنظرية النقدية والعقل الاداتى
-والبرجماتية والثيلوجيا، وهنا يجب أن نتوقف قليلًا عند الثيلوجيا، لكونها أثارت الجدل عند أصحاب العقائد المتشددين الذين يشعرون بالخوف من مثل هذه الأفكار على حد وصفك لهم في اللقاء الماضي
-وقلت أيضًا يصبح الأمر يمثل لهم خطرًا شديد عندما تصبح المؤلفات متاحة ومتداولة في المكتبات متاحة لمن يريد الحصول عليها

-وبالفعل بدأ شبابنا يدرك أمور كان ليس لها وجود في الإطار الفكري الذي كان يعيش بداخله كل منهم، نتيجة فكر متطرف من رجال يعتقدون أنهم اختيار من الإله، ومما لا شك فيه أن المؤلفات التي قمت بها أصبحت موضع إعجاب، ومركز تأمل، ومحور للتفكير، مما أدى بالفعل إلى دور فعال على أرض الواقع، وأصبحت مادة ملموسة بين يدي الجميع، ومرئية أيضًا من خلال السينما والمسرح والدراما، التي اتخذت من أعمالك مادة لها، ومن أفكارك منهجًا، ومن توجيهاتك مرجعية، وهذا ما شاهدناه على مدار العشرة أعوام الماضية

-وهذا ما توصل إليه أصحاب العقول المستنيرة التي تستطيع أن تفكر دون قيود أو خوف بالتشكيك في إيمانهم من قبل رجال سبق لحضرتك وصفهم بأنهم أصحاب عقول محجمة

-أما بالنسبة للفئة الأخرى فهم رافضون كل الرفض أن تتداول هذه المؤلفات، بل يرفضون أيضًا أن تفكر بهذه العقلية المستنيرة، برغم أن الأعمال الأدبية التي تحولت إلى مادة مرئية، أصبحت تلعب دور كبير من الثقافة على عقول شبابنا الآن بعد غياب طويل للفن الهادف واتخاذ الإسفاف مكسب للمنتج وشهرة للممثل

- أصبحنا الآن نرى أعمال عظيمة، تتحدث عن أشياء كانت بعيدة كل البعد عن الوسط الفني، الذي له دور فعال على أرض الواقع، الذي لا يقرأ فيه شبابنا بعد أن أصبحت نسبة القراءة لدينا لا تتجاوز ست دقائق سنوية للفرد على حد آخر إحصائية، وهذا جعل مستوى الثقافة والإدراك لدينا أقل من القليل، ولكن من الجانب الآخر الأكثر استهلاكًا لهم، وهو المواد المرئية، أصبحت تحتوي على العديد من الأمور التي تساعد في فهم الإنسان للحياة وما يجري من حوله

-أصبح شبابنا من خلال مشاهدة التلفاز والسينما يدرك خطورة الرأسمالية والدمار الناتج من الإمبريالية، والتعاطف مع البروليتاريا بعد أن أصبح اسم ماركس مألوف ومعروف لدى العديد

- كان هناك عدة أمور دائمًا تتحدث عنها، ولم تتوقف برغم ما لحق بك من أذى وسجن، وتعرض لمحاولة اغتيال، ومن أهم القضايا التي تحدثت عنها هي

قضية الشباب، ودورهم المفقود في المجتمع، وسنتحدث في هذا الأمر أيضًا اليوم
-وأيضًا تناولت الحديث كثيرًا في قضية المسؤولين والحكومات وعلاقتها بالشعوب
-ولكن حان الوقت لكي نتحدث في المواضيع الشائكة، ونقوم بكسر بعض التابوهات، حتى نكون أكثر مصداقية مع أنفسنا ومع المشاهدين والقراء، الذين يتابعون أعمالك في أنحاء الوطن العربي وهذا يجعلني أبادر إليك بالسؤال،- أستاذ عباس هل هناك مشكلة لديك مع الدين؟
-يروق لي سؤالك الذي به دعوة للحديث عما لدى من فكر كما له أكثر من مزية،المزية الأولى وهي قولك لكلمة الدين وليس ذكر عقيدة دينية
-بمعنى أن كل ما أقوله يشمل جميع العقائد، وليس عقيدة واحدة من بين آلاف العقائد الموجودة الآن بين الناس، سواء كانت عقيدة من العقائد الإبراهيمية الثلاث: الإسلام أو المسيحية أو اليهودية، أو العقائد الأخرى، وهذا يجعل المشاهد لا يشعر بالإهانة أو بالغيرة على عقيدته من فكر لا يقلل من عقيدته، ولا يسخر منها يومئ إذا أدرك ما أقول، وأحب أن أبدأ بقول شيء:
-أنا أحترم العقائد كافة بدون استثناء لأحد، حتى اللا دينيين أيضًا، لا بد من احترامهم، وإلا ستكون العقيدة التي أنا عليها بها خلل، لا خير فيها
تردد مادلين ويبدو على وجهها ابتسامة لما تسمع من كلمات:
- العقيدة التي تدعو أصحابها لعدم احترام الآخر بها خلل ولا خير فيها
-لا خير في عقيدة تدعو للبغض والكراهية وعدم الاحترام للآخر الذي ليس على عقيدتي ولا يؤمن بإلهي
-كلمة رائعة أتمنى من الجميع سماعها
-سماعها وحده لا يكفي للحد الذي يجعلني أطمئن بل العمل بها بعد الإيمان من فوائدها
-والمزية الثانية هي أن هناك العديد من الناس يتعمدون عدم فهم ما أقول على مر العشر سنوات الأخر، وكأنهم بينهم والتفاهم سوء تفاهم كما قيل من قبل، ولذلك كان السؤال مهم حتى أتحدث في هذا الشأن جيدًا، وأقطع الشك باليقين عند المشاهد، إنني لست أحارب الدين أو أقلل من شأنه، بل أنا رجل

ديني يؤمن بعقيدة وإله
-ما هي العقيدة التي تؤمن بها وما هو الإله ليس موضوعنا اليوم، ولا أراه شيء ذا فائدة أن أذكر الإجابة على تلك الأسئلة، فأنا لست هنا لكي أدعو إلى عقيدتي التي أنا عليها، فهذه ليست وظيفتي ولا مهنتي مثل ما اتخذها الكثير، ولكن أنا يكفيني أن أعدو للإنسانية دون الانحصار في عقيدة دينية
تبتسم في فخر:
-أعتقد أن السؤال كان في موضعه الصحيح
-بالطبع هو كذلك
الصراع الذي يبدو للجميع بيني والفئة التي دائمًا تريد التصدي لما أقول، ناتجة من رفض ما يقولون ورفضهم ما أقوله، ولكن أنا أرى أن عدم التوافق الفكري بين الإنسان والآخر ليس شيء يستحق القتل أو الحرب، وإلا ستكون معركة والمعركة دائمًا خسائرها لا تقارن بمكاسبها، والتاريخ شاهد على ما أقول
-وماذا تريد أن تقول؟
-أقول نحن لا نريد العودة مرة أخرى لتلك الأفعال التي كانت ترتكب في حق المفكرين من قبل رجال الدين،الرجال الذين يعتقدون أن لا أحد يمتلك عقول مثل عقولهم، ولا يمتلك أحد قلب مثل قلوبهم العامرة بالإيمان
يستطرد قائلًا في هدوء:
هذا من وجهة نظرهم هم،هذا مفهومهم هم،هذا اعتقادهم هم،ولكن الواقع يقول أن هذه ليست الحقيقة، بل هناك آخرون يحسنون التفكير، وقالوا توقفوا عن الكثير مما لديكم من مفاهيم خاطئة وسنتحدث عنها أثناء الحوار
-وما هي تلك الأفعال التي لا نريد عودتها؟
-الإجرام الذي يلحق بكل مفكر، وإذا ذكرت لك ما حدث من قتل واغتيالات لكل من استخدم عقله خارج المألوف، الذي نشأنا عليه لم يكف الوقت، ولكن باختصار نريد أن نقول لهؤلاء توقفوا قليلًا، وفكروا كثيرًا، واحترموا رأي الآخر
-ولكن نحن نعرف في العالم أننا شعب متدين بطبعه
-الجملة صحيحة عن الناس ومتداولة وشائعة بدرجة كبيرة، ولكن خاطئة في

شيء ضئيل جدًا، ولكن برغم صغر الخطأ، استطاع أن يغير المعنى تغيير كلي لمفهومها، وهذا الخطأ لا يدركه إلا من تأمل حالنا جيدًا

-وأين هذا الخطأ؟

-الخطأ يكمن في تبديل حرف مكان حرف، وهذا كان كفيل لتغيير المعنى الكلي

-وهل بإمكانك أن تخبرنا عن الخطأ هذا؟

-نحن نعرف في العالم أننا شعب متدني وليس متدين،تبديل حرف واحد بالآخر قادر أن يكشف لنا الحقيقة العارمة التي نحاول أن نخفيها، وهذا ليس في صالحنا،أعتقد أن ليس هناك خلاف بين اثنين يحسنوا التفكير، أننا أصبحنا نعاني من الفقر،الفقر في كل شيء وليس الفقر المادي فقط،هناك فقر فكري، وفقر معنوي، وفقر أدبي، وفقر أخلاقي، بالإضافة إلى فقر اقتصادي، وكل واحدة من تلك تجعلنا في قاع المستنقع دون القدرة على التحرك، دون أن نصلح الخلل، فكيف لو اجتمع كل ذلك في بلداننا؟

بسهولة وبساطة شديدة، سنصبح هكذا كما يرانا العالم وليس كما نرى أنفسنا، لكن الإنسان أحيانًا يتعمد عدم رؤية الحقيقة، ولكن الآخر يراها واضحة دون أن يحاول تجميلها

-وما هي الأسباب التي تؤدى إلى الانحدار كما ذكرت؟

-هنا نعود إلى النقطة الأولى، وهي عدم العودة مرة ثانية لتلك الأفعال التي يقوم بها هؤلاء التي لم يجف دماء المفكرين في أيديهم

-أفهم من ذلك أن الصراع يكمن في الفكر، وليس التشكيك في العقيدة كما يقولون؟

-نحن نسمع أشياء مدهشة،عباس تموله دول الغرب لكي يشوه العقيدة،عباس لديه فيلا في أمريكا، وشركاته في أوروبا، وأمواله في سويسرا،هذا ما يقال وغيره الكثير من تلك الأشياء المراد بها تشويه الصورة

ولكن أريد أن أطرح سؤال لكل من يصدق مثل هذه الكلمات، وليس لمن يقول

-لكون من يقول ذلك يقوله بقوة وكأنه يقين- كيف يكون عباس لديه كل ذلك وما زال يعيش في دولة من دول العالم الثالث؟ ويصعد الحافلة التي تحتوي على

عدد فلكي من المواطنين؟
وما هو العائد الذي يجعلني أعيش في السجن لرفض أشياء ليس يؤمن بها سواي، سوى رغبتي في الأفضل لهذه البلد؟
-أرى أن الأمر تبدل من اختلاف فكري إلى حرب شخصية، مما أدى بهم إطلاق شائعات لا حصر لها عليك
-عدم القدرة على التفرقة بين الإنسان نفسه، وفكره يسبب كارثة
لا بد من معرفة التفرقة بين الإنسان وفكره، حتى لا نرى الإنسان أقل من مكانته لمجرد فكره، وإلا سنكون ممن يمحو جميع إيجابيات الإنسان لمجرد خطأ
-وهل المفهوم الذي لدى الآخر تجاهك مبني وقائم على موقف قمت به أنت بالهجوم على معتقداته الدينية؟
-عباس لا يقوم بهدم شيء مقدس لدى أحد، حتى لو كان شيء يبدو تافهًا، وأنت تلاحظين أني لم أقل على شيء يمثل إله عند أحد أنه لا يستحق أن يُعبد حتى لا أجرح مشاعره، فهو في الأول والآخر إنسان بغض النظر عن عقيدته، ثم ما هي الإفادة التي سأحققها حينما أبدأ بالتشكيك أو السخرية من عقيدة من العقائد؟
-السخرية من العقيدة تمثل انتهاك لأتباعها، ونحن لا نريد أن نخلق حروب أو نغرس كراهية في العقول باسم عقيدة كما يفعل هؤلاء الذين أتحدث عنهم
-بمعنى أوضح إنك تفعل ذلك متصديًا لأفعال رجال الدين؟
-لا تهدم شعائر دينية تقدسها البشرية،هذه الكلمة قالها رجل حكيم منذ أكثر من ثلاثين عامًا
-أعتقد أن بيكت من قال هذه
-في الحقيقة من قال هذه الكلمة ليس بيكت، ولكنه رجل لا يقل شأنًا عن شأن بيكت، ولكن سأخبرك من قالها في نهاية اللقاء
-هي حقًا كلمة تدعو للسلام
-السلام هذا هو ما نريد أن نراه بين الناس ولن يحدث هذا إلا بالتوعية،لا بد أن يعي الإنسان جيدًا حتى يستطيع أن يفعل ذلك عن رغبة في إقامة السلام،

وليس لمجرد أنا أريد ذلك أو آخر يريد هذا، ثم نجد من يخرج علينا بكلمات أحد من السيف واتهامات لا نعلم من أين أتى بها، حتى يقذفنا بها ولذلك أقول لهم أن اليد التي تمسك القلم وتكتب، لا تستطيع أن تمسك سلاح وتقتل
نحن نعمل على تبديل هذا المفهوم لديهم بمفهوم أفضل من خلال عقول تجيد التفكير
-أنا أتذكر أن هذا كان يندرج تحت تبديل حرف
-الحرف في مكان غير مكانه يغير الحياة، بل علامة الترقيم لها القدرة في إنقاذ حياة
(يرتشف من الكوب الذي أمامه في وقار ثم يقول:
في قصة طريفة، أصدر أحد ملوك روسيا، أمرًا يقول فيه:
»عفونا عنه! مستحيل، ينفى إلى سيبريا«
كانت زوجة الملك تهتم لأمر هذا السجين، أرادت أن تنقذه،قامت بتغير مكان علامة الترقيم الموجودة في القرار حتى أصبح القرار:
»عفونا عنه، مستحيل ينفى إلى سيبريا«
يهمس المخرج قائلًا:
-معنا فاصل يا أستاذة

***

يضع حمدي يده اليسرى على كتف ذلك الرجل الذي يقف بجواره وينظر إلى السماء معه من خلف قضبان تلك الشرفة ويقول له:
-نسيان الماضي أفضل ما تقدمه للحاضر، والاهتمام بالحاضر أجمل ما تمنحه للمستقبل
-هناك العديد من الأشياء أريد التوقف عنها، ولكني أجد صعوبة في ذلك، وعلى رأس هذه الأشياء التفكير
-إدراك الإنسان لما تسعى الحكومات لإخفاءه؛ يسبب لهم الخوف والقلق؛ ولذلك قاموا بعمل مثل هذه الأماكن حتى يلتقي أصحاب الفكر الخارج عن المألوف

ثم يقول مبتسمًا وكأنه اكتشف أمرًا:
أخبرك شيء؟
يومئ برأسه على الموافقة

-دع الهموم أرضًا وتعال معي نذهب إلى حياة أجمل، وواقع أفضل، وخيال أوسع، وإحساس بالسعادة لا يضاهيه أي إحساس آخر، من خلال ذلك الصوت الذي يدعو للجمال
-أي صوت هذا؟
هل يوجد هنا صوت يدعو للجمال؟
-صوت الحب الذي يبث السعادة ويدعو للخير
-أشعر أنك تتحدث عن التي فارقت الحياة بجسدها وتبقى لنا رحيقها
-كنت أعلم أنك تحب كلماتها
-وكيف أدركت ذلك دون أن يبدو شيء يدعو لهذا؟
-المثقفون لهم مذاق خاص،مذاق لا يتحمله التافهون،ولا يشعر به الجاهلون،ولا يتحلى به سوى الحالمين
-ومن هنا قادر على العطاء
يبتسم وينظر إلى شاب يبدو في الثامن والعشرين من العمر، جالس ومغمض العينينن، وتتلاعب أنامل أصابعه على ساقيه كالذى يعزف أجمل المعزوفات على البيانو، التي لا تقل عن المعزوفات الكلاسيكية التي كان يقوم بها جاسون شارلز
-هو؟
يومئ برأسه قائلًا:
-نعم
-يبدو إنه ليس هنا
-سيعود الآن
-هل بقي من الزمن كثير على عودته؟

-بقي على عودته خطوة ونداء بجواره
-أنت دائمًا تفسد اللحظات التي لا يجب أن تفسد
-لا أحب أن يذهب أحد إلى الجنة ويترك من حوله يتعذبون
يقترب منه حمدي ويمسك ذراعه حتى ارتفع جفناه وظهرت عيناه المليئتان بالشغف للموسيقى
-معي ضيف
يرد سلامة:
-يا أهلًا بالضيف
-هل ستقوم بأصول الضيافة؟
-الضيف له ثلاثة أشياء
يبتسم حمدي ويقول:
-وما هم؟
-الاحترام والكرم والمساعدة إن أمكن
-وهل أمكن أم لا؟
-أمكن منذ اللحظة التي رغبت بها أنت يا عم حمدي
يربت على كتفه:
-ابن أصول يا سلامة من يومك
-الأصول هذه تعلمناها منك يا عم حمدي
-شكرًا يا سلامة، ولكن على أي زورق ستذهب بنا إلى الداخل بين الأمواج؟
-الاختيار يعود لرغبة الضيف
ينهض حمدي وينظر إلى الضيف الجديد ويقول:
-الجرمافون في انتظار وضع الأسطوانة، فأي شيء وقع الاختيار يا جلالة الملك؟
يبتسم ويقول:
-إذا تكرمت فأنا أريد
يقاطعه رجل صاحب الوجه العابس والعينين المحدقتين واللحية الكبيرة بقوله:
-الملك هو الله يا أخي

يردد بصوت صاخب:
الملك هو الله وليس أحد آخر، فنحن جميعًا هنا عباد
يقول له حمدي وهو يبتسم:
-ثم ماذا؟
يرد وهو ما زال عابس الوجه محدق العينين صاخب الصوت:
-لا شيء ولكن فكر قبل أن تتحدث
يضحك حمدي ساخرًا ويقول:
-حاضر
يقول الرجل في غضب:
-على ماذا تضحك يا أخي؟
هل تسخر مني؟
-أنا لا أسخر من أحد على الإطلاق، ولكن لم أتوقع أن أحد مثلك يطلب مني أن أستخدم العقل
-ماذا تعني بأحد مثلي يا أخي؟
-يعني كنت أتمنى أن يقول لي هذه الكلمة رجل يستخدم عقله، وليس من الذين لا يفكرون
ينهض غاضبًا:
-من هذا الذي لا يستخدم عقله؟
-أنت ومن معك
-يجب أن تعلم أن استخدام العقل هو الذي أتى بي إلى هنا
-فعلًا عدم استخدام العقل هو الذي أتى بك إلى هنا
-أنا استخدم عقلي جيدًا
- وهل هناك رجل لديه عقل يقوم بالاعتداء على سيدة بالضرب، فقط لأنها ترتدي ما لا يناسب الحيوان الذي بداخله؟
ثم إن الإنسان الذي لا يستطيع إحجام رغباته وشهواته، لا يستحق أن يعيش بين الناس، والجميع يعلمون ماذا يستحق من لقب

يقول مدافعًا بقوة:
-أنا أفعل ذلك نصرًا للدين الذي لا تعرف عنه شيئًا
-فعلًا أنا لا أعرف عن الدين شيء، ولكن الدين الذي لا أعرف عنه شيئًا حقًا، هو الدين الذين إياه أنتم تتبعون،الدين الذي تتبعوه أنت وأمثالك من الذين لا يستخدمون العقل، ويعتقدون أن استخدامه حرام
-لا يوجد أحد يعرف ديننا مثلنا
-وماذا عنا نحن؟
-أنتم تتبعون الدين العصري الذي يدعو للفسق والرذيلة
يقول ساخرًا:
-فعلًا نحن من نتبع الدين الذي يكفر كل من يفكر، ويغتصب النساء لمجرد أنهن لسن من العقيدة التي نعتنقها، ونعزف بالسكين على الرقاب
يقول في غضب:
-نحن لا نفعل ذلك،كل ما نفعله هو نشر العقيدة
-أنتم تريدون ذلك، ولكن لم تحصلوا على الفرصة بعد
-سيمكنا الله من هذا يومًا، حتى يشهد الجميع أن ديننا هو الحق وليس الكفر الذي تتبعوه
-أخبرني من أين أتيت؟
دلني على القرية التي منها خرجت
أريد أن أحمل البندقة وأتوجه إليها، وأقتل كل من يسكن فيها حتى لا يتكاثروا أكثر من ذلك، ويأتوا بأشخاص مثلك يرهقون أمثالي في الحياة
ثم يصمت قليلًا ويقول:
أنت تجعلني أشعر أن توماس بين كان صادق عندما قال: النقاش مع إنسان تخلى عن سلطة العقل نتيجة فلسفة لاهوتية مبنية على وضع الإنسان موضع إزدراء، شبيهًا تمامًا بإعطاء أدوية لإنسان ميت
-نحن ندعوا للسلام وأكيد الشخص الذي تحدثت عنه كافر لا يعرف شيء عن الأخلاق

-هو بالنسبة لك سهل التقييم سريعًا، ولكن لا تنظر ماذا قدم هو والكثير من أمثاله
ثم أي سلام هذا تريد أنت القيام بنشره؟
أي سلام هذا تريدون إياه؟
أي حياة أفضل تريدون إقامتها؟
هل ترميل النساء به شيء من السلام؟
أم تيتيم الأطفال به شيء من الرحمة؟
أم يكون سفك الدماء دعوة للإنسانية وأنا لا أعرف ذلك؟
-لولا رأيتك تصلي من قبل لقلت أنك كافر تستحق القتل
-لقد بحثت كثيرًا حتى أجد إله يدعو للقتل مثلما تدعون أنتم، ولكني لم أجد، وهذا يعني أن ما لديكم ليس له وجود، أو أنا الذي غير موجود في هذا الوجود
-ابحث في العقيدة وليس كتب الكفار
-أنا بريء،بريء من العقيدة التي تأمر بالقتل،أطعن في الإله الذي يدعو لسفك الدماء،أحارب من أجل إعلاء الإنسانية،أناضل من أجل الحرية،أناشد من أجل الديمقراطية،أقاتل حتى تبقى الأرض،إذا كانت العقيدة التي أنت تعتنقها لا تدعو لذلك فأنا كافر
يخرج ذلك الرجل الصامت عن الصمت قائلًا لحمدى:
-نور الفجر أوشك على التجلي
-لن يذهب قبل أن يشهد على صوت سلامة
ثم يجلس بجوار سلامة ويقول له وهو يطبطب على الأرض:
تعال هنا بجواري
يذهب إليه ذلك الرجل وجلس بجواره ووضع رأسه على الحائط خلفه، الذي يحتوي على إمضاءات كثيرة من مجهولين، منهم الأحياء ومنهم الأموات
وبدأ سلامة بصوته العذب الغناء، عندما ترك كل من حمدي والرجل الصامت الاختيار:
»طول عمري باخاف من الحب، وسيرة الحب، وظلم الحب لكل أصحابه،وأعرف

حكايات، مليانة آهات، ودموع وأنين، والعاشقين دابوا ما تابوا،طول عمري بأقول: لا أنا قد الشوق، وليالي الشوق، ولا قلبي قد عذابه،وقابلتك أنت لقيتك بتغير كل حياتي،ما أعرفش إزاي أنا حبيتك، ما أعرفش إزاى يا حياتي،من همسة حب لقيتني باحب وأدوب في الحب وصبح وليل على بابه

فات من عمري سنين وسنين شفت كتير وقليل عاشقين،اللي بيشكي حاله لحاله، واللي بيبكي على مواله،أهل الحب صحيح مساكين،ياما الحب نده على قلبي ما ردش قلبي جواب

ياما الشوق حاول يحايلنى واقول له روح يا عذاب

ياما عيون شاغلونى لكن ولا شغلونى

إلا عيونك أنت دول بس اللى خدونى وبحبك أمرونى

أمرونى أحب لقيتنى باحب وأدوب في الحب وصبح وليل على بابه»

كان صوته جميلًا عذبًا يجعل كل من لديه قلب يشعر، وكل من لديه إحساس يذهب إلى ذكريات الماضي التي تركت أثرًا جميلًا

يقاطعه إبراهيم صاحب اللحية قائلًا:

-حرام يا أخي

صوتك جميل، فلماذا لا تقرأ علينا آيات تجعلنا نشعر بحب الله ونعمته

يذفر حمدي قائلًا:

-أنا أعلم أنك لا تستطيع الصمت، ولكن حريتك تقف عند حرية الآخرين،يعني لا تحاول أن تجعل الجميع يرغب فيما ترغب ويحب ما تحب

يقول بصوت حاد:

-حرام،هل الحرام أصبح حلال لديكم؟

هل الممنوع أصبح مرغوب؟

هل تبدلون قول الله؟

هل تفسدون في الأرض؟

كان ينظر إليه ذلك الرجل الذي لا يتحدث كثيرًا وهو يقول ما لديه، ويعبر عن مفهومه وإيمانه الذي لا يقبل النقاش، أو حتى التفكير فيما يطرحه صاحب

الفكر المختلف
كان يبدو على حمدي الرغبة في الرد عليه ولكن قال له ذلك الرجل:
-لا تناقش هؤلاء الذين يعتقدون أن ما يمتلكون من أفكار هي الحقيقة المطلقة في هذا الكون وليس شيء آخر
يرد عليه الرجل في تعجب:
-وهل هناك حقيقة مطلقة غير الذي نحن عليها؟
يبتسم الرجل ابتسامة يأس
يقول له حمدي:
-سامحه
-إنه ذكرني بقول برنارد شو عندما قال:
سامحه، فهو يعتقد أن عادات قبيلته هي قوانين الكون
يقول له إبراهيم:
-اسمك ايه؟
-اسمي يوحنا
يومئ برأسه في حركة بطيئة:
-أنا الآن فهمت عن أي شيء تدافع أنت
ثم يضحك ساخرًا ويقول:
إذا أدرك كل إنسان حجمه الطبيعي، لكانت الأحوال أصبحت أفضل مما هي عليها الآن
يصمت يوحنا قليلًا ثم قال:
-عندما أتت امرأة إلى غاندي وقالت له:
ابني يأكل الكثير من السكر وهذا مضر لصحته، وأريد منك أن تنصحه بالتوقف عن تناوله؟
استمع غاندي إليها بعناية مثل عادته، وفكر جيدًا، ثم طلب منها أن تعود بعد أسبوعين ليتحدث إلى ابنها،استغربت المرأة لم لا يتحدث إليه الآن؟
ولكنها أخذت ابنها مرة ثانية كما طلب منها، فنظر غاندي إلى الصبي وقال له:

أنت تأكل الكثير من السكر وهذا يضر بصحتك،فهز الصبي رأسه ووعده ألا يكثر من أكل السكر مجددًا
حينها سألت الأم غاندي وهي حائرة:
لماذا لم تقل له نفس الكلام حين أتينا منذ أسبوعين؟
رد غاندي وقال:
وقتها كنت أتناول الكثير من السكر
ثم قال له:
الرب يسوع كان يعمل قبل أن يعلم الآخرين
في متى (١٩:٥) يقول:
»وأما من عمل، فهذا يدعى عظيمًا في ملكوت السماوات)
يبسط حمدي يده بالسلام ويقول:
-تشرفت بك يا يوحنا،أنت إنسان عظيم وأخلاقك راقية
يقول يوحنا:
-شكرًا لك أستاذ حمدي

***

جلس محمد في البراندا يستمع إلى مذياع يصدر صوت عبد الوهاب بكلمات تروق له كثيرًا، حتى جعلته شارد العقل لا يلتفت للجو البارد الذي يحيط به دون أن يشعر بذلك
تدخل ريهام وهي مرتدية ملابس ثقيلة وحاضنة نفسها، ويبدو عليها عدم القدرة على التحمل لذلك الجو البارد وتقول لمحمد:
-أنت كيف جالس هكذا في هذا الجو؟
هيا ندخل محمد أنا لا أستطيع البقاء هنا دقيقة واحدة
كان محمد ما زال شارد العقل لم ينتبه لحضور ريهام
-محمد، محمد
يرد محمد في هدوء دون أن ينظر إليها:
-نعم؟

-هيا حبيبي أنا أحضرت الشاي بالداخل
تمسك بيده وتردد:
هيا محمد
ينهض محمد ويتوجه إلى الداخل، وتغلق ريهام النافذة فور دخولهما، ويجلسان الاثنان سويًا، وتمسك هي بكوب من الشاي وتمنحه له، وتجلس بجواره وتضع يدها على كتفه وتقول له:
-أنا أحبك
نظر في عينيها وجدها مليئة بالحب والاشتياق، لذلك الرجل الذي يمارس الانطوائية منذ عدة أيام دون انقطاع، دون أن يعلم أحد السبب وراء هذا ثم ينظر أمامه
-أخشى أن يأتي اليوم الذي أشعر فيه أن قرار الزواج كان خاطئ،
أخشى أن أشعر، أن يأتي اليوم وأقول يا ليتني ما كنت سبب في مجيء ابني إلى الحياة،أخشى فقدان ابني قبل أن يقول كل ما لديه
كان يبدو القلق على وجهها
-أخبرني،أرجوك أخبرني ماذا تقصد؟ لا تتركني هكذا،هل عليك ثأر في البلد ولم تخبرني؟
قال لها في هدوء تام:
-العنف هو الوسيلة الأولى التي يلجأ إليه الضعيف الذي لا يمتلك شيء من القوة، وأنا لست ضعيف حتى أفعل مثل ما يفعل الكثير
كان يعلم أن لا يؤمن بالعنف إلا الأحمق، ولا يمارسه بشدة إلا الجاهل المتعصب، الذي ليس لديه القدرة على المواجهة بالعقل، ولذلك يلجأ إلى الوسائل التي لا تعرف عن الإنسانية شيئًا، ولا عن الرحمة ذرة، ولا عن المنطق أمرًا
-من هم الفاسدون الذين تتحدث عنهم؟
-الفاسدون الذين لا يريدون من أحد أن يستخدم عقله،الفاسدون الذين يروق لهم الفساد، والذي هو مصدر الحياة التي يتمتعون بها
أشعر أن هؤلاء الفاسدون إذا اسيقظوا يومًا ولم يجدوا الفساد من حولهم،

لتسابقوا على نوم أهل الكهف حتى يعود الفساد إلى الحياة مرة ثانية، وإن لم يعد فلن يعودوا هم لهذا الواقع الذي ليس به فساد، شأنهم شأن السمكة التي لا تستطيع العيش بدون ماء والنبات بدون هواء

تقول ريهام في تعجب:

-تقصد رجال السلطة؟

-نحن في وطن يضع رأس كل من يفكر بين فكي النظام، والنظام هذا شبح كبير لا يحب أحد الاقتراب منه، بذلك السلاح الذي نطلق عليه نحن العقل

ينظر إليها قائلًا:

العقل هو السلاح الوحيد الذي لا يعاقب عليه أي قانون في جميع البلدان، باستثناء القوانين التي وضعت في بلداننا العربية، فتبًا لكل أرض يحارب حكامها فلاسفتها

تقول والخوف يبدو على وجهها:

-محمد

ينظر محمد إلى الأمام قائلًا في حماس:

-أنا أتمنى شيئًا واحد فقط،شيء لا أريد سواه،أنا أريد منهم إذا أرادوا فعل هذا، فلا يقوموا به وأنا على قيد الحياة، حتى لا يجعلوا مني رجل يطلقون عليه إرهابي مما سأقوم به من عمليات تفجيرية في كل رجل ينتمي إلى السلطة السياسية

سيجعلون مني رجل لا يخشى شيئًا، ومن لا يخشى شيئًا في هذه الحياة، فحتمًا يجب على الجميع أن يخاف منه

يسقط وجه ريهام أرضًا وعيناها مليئة بالدموع على المستقبل الذي لا يعرف الإشراق لذلك الابن الذي لم يحصل على الحياة الكاملة في ذهن كل منهما

يبدو عليها اليأس

-هل يولد الإنسان بذنب؟

هل يعاقب الإنسان بفعل خاطئ قام به شخص آخر؟

إذا كان الإله لا يعاقب أحد على ذنب أحد آخر، ولا يولد الإنسان بذنب،وإن

العقاب مرتبط بذنب قام به الفاعل، فلماذا يعاقبنا الإله ويجعل مسقط رأسنا بلد عربية؟
لماذا جعل في قلوبنا حب هذه البلد؟
لماذا جعلنا ننتمي لهذه الأرض؟
لماذا غرس في قلوبنا حب أفراد عائلتنا وجيراننا؟
لماذا لم يخلقنا الإله أمثال هؤلاء الذين يحملون الحقائب ويذهبون حيثما شاؤوا في أي وقت أرادوا دون أن تذرف أعينهم بالدموع فراقًا على أوطانهم؟
-منذ عدة أيام حدث شيء جعل الشعور بالخوف يتضاعف على خالد،جعلني أشعر أني أخطأت عندما جعلته محب للقراءة، مطلع على الكثير من العقول التي تخالف أفكار أمتنا، التي تعيش الانغلاق، رافضة لكل ما لا يتوافق مع عقيدتها
-وهذا ما جعلك تشعر بهذا الأيام الماضية والسبب وراء حديثك هذا؟
-نعم
-كان في السياسة؟
-كان في عقيدة
-رجل دين؟
-نعم، رأيت في عينيه غضب تجاه خالد وهو يتحدث كأنه يريد أن يقول له أنت تستحق القتل

***

تضيء الأنوار بعد ساعة من الظلام، وتتوقف الشاشة عن العرض، وتقدم للجميع كلمة استراحة لتبدأ الحركة في المكان بعد السكون والكلام بعد الهمسات
ذاهبان سويًا إلى الخارج حتى تنتهي فترة الاستراحة، ويعودا مرة ثانية إلى الداخل، وهما يسيران بجوار بعضهما يشاهدان فتاة تتحدث مع شاب في غضب وبصوت مرتفع:
-ماذا تريد؟
من فضلك امشي
كان يحاول الشاب أن يمسك يدها ويردد:--

-تعالي
وكان يبدو على الفتاة الخوف وتتراجع إلى الخلف حتى ترك شادي يد روجين، واقترب منهما وكانت روجين لا تريد أن تترك يده أو يذهب إليهما، ولكنه لم يتراجع وتوجه للفتاة سائلًا:
-مساء الخير،في شيء؟
هل تعرفين هذا الشاب؟
يرد الشاب قائلًا:
-لا تتدخل من فضلك،هذه خطيبتي ومن فضلك امشي من هنا
نظر شادي إليه ولكنه لم يرد عليه ولم يُقم له شأنًا وتوجه إلى الفتاة مرة ثانية:
-هل هذا خطيبك حقًا؟
ترد الفتاة في هدوء ويبدو عليها الحزن:
-نعم خطيبي
-أوك، أنا آسف
يعود شادى إلى روجين ويمسك يدها ويقول لها:
-سنصبح أفضل عندما يدرك كل منا ما يجب عليه القيام به في مثل هذه العلاقات
-يبدو إنه لا يروق لك مضايقة الشباب للفتيات؟
-بالطبع لا أحب هذا،لا أحبه على الإطلاق،أنا أبغض ذلك الشيء جدًا،أشعر أنه مقزز،الاعتداء على الفتاة من الشاب بالكلمات والألفاظ لا تختلف عن الاعتداء الجسدي،كلاهما عندي سواء
تقف فجأة بعد أن كانا يسيران بجوار بعضهما في تأنٍ وهدوء:
-لماذا توقفت؟
-هل هذا الأمر يغضبك كثيرًا؟
-نعم
تقف صامتة مما جعله يسارع سائلًا:
-ماذا حدث؟

-يبدو أنك أخطأت عندما أتيت متأخرًا
ينظر إليها ويبدو عليه التفكير:
-لماذا؟
-هناك شخص قام بمضايقتي
كانت من أكثر الأشياء التي تجعل شادي غاضبًا هي تلك الأفعال الحيوانية التي يتبعها الكثير من الذكور الذين لا يعرفون شيئًا عن سمات الرجال
في غضب وبصوت حاد مرتفع بعض الشيء:
-من هذا؟
في هدوء:
-لا أعرف،ولكن أعرف شيء مهم
يبدو عليه ترقب كل كلمة حتى يستطيع معرفة من قام بهذا:
-ما هو؟
-أعلم أن هذا الفعل حدث نتيجة تأخرك
يقول ويبدو عليه الشدة:
- هذا نتيجة فكر خاطئ وعدم إدراك ووعي
ثم أنت في مكانٍ راقٍ ومحترم، وأعتقد أن كل إنسان يأتي إلى هنا يجب أن يكون أخلاقي، وإلا يذهب إلى الأماكن التي تتناسب مع تلك الأفعال الحيوانية والألفاظ السوقية التي يتقنها كل إنسان يسيطر عليه ذلك الحيوان الذي بداخله
ثم يستطرد قائلًا متعجبًا في غضب:
ما لي أشعر أنك تبررين لهم هذه الأفعال التي يقوم بها أمثال هؤلاء؟
كان يروق لها كثيرًا رؤيته وهو يتحدث بعصبية، مثل ما كانت تراه وهو يفعل ذلك في بعض الندوات والمحاضرات، التي كان دائمًا يشارك بها، ويتحدث عن الأمور التي يجب أن تتبدل، والظلم الذي لا بد أن ينتهي، والديكتاتورية التي يسعى لهدمها
- الأمر انتهى ويجب أن نذهب الآن، فلا وقت لدينا، الفيلم سيبدأ الآن
ينظر لها في غضب ويقول بصوت مرتفع:

- يتحرق الفيلم، على الممثلين، على السينما، على اللى فيها،ردي عليّ وأخبريني من هنا في هذه المكان قام بمضايقتك؟
ترد بسرعة محاولة أن تهدئه، وهي تلتفت حولها حتى تطمئن أن لا أحد ينظر إليهما نتيجة صوته المرتفع، ونبرته الغاضبة:
- شادي، أرجوك اهدأ، لا شيء حدث لكل هذا
الأمر انتهى،اقسم لك أن ليس هناك شيء يستحق غضبك هكذا،ثق في، أنا أقول لك لا شيء حدث، أنا فقط أردت أن أجعلك تشعر بالذنب لهذا التأخير
ثم تبتسم وتقول:
ثم أردت أن أراك غاضبًا، فغضبك يروق لي
يبتسم فجأة بعد قليل ويغمض عينيه، وهو ينزل وجهه إلى الأرض مندهشًا من نجاحها في هذا الشيء الذي جعلها ترى ما تريد رؤيته
كان مؤمن جدًا أن الفتاة التي
تستحق التمسك بها وإعلان الحرب من أجلها، فقد كانت فتاة
تجيد الشعر،وتقرأ الفلسفة،وتستمع للموسيقى،وتحتسى القهوة في الشتاء،وتنشر آراءها على روؤس الجميع،هي امرأة تستحق شن الحرب من أجل البقاء معها، وليس رؤيتها امرأة أقل من الرجل في شيء
يرفع وجهه مرة ثانية وينظر في عينيها ويقول لها مازحًا وهو يبتسم:
-ماذا أفعل بك؟
تبسم في براءة مثل الأطفال وتقول وهي تشير إلى الشاب الذي يقوم بعمل الفشار:
- اشتري لي فشار
يبتسم شادي ويومئ برأسه موافقًا
ثم تقول هي في عجالة وكأنها تطرق الحديد وهو ما زال ساخن:
- وشاورما
ازدادت ابتسامته التي تراها قادرة على إضاءة ما بين السماء والأرض مهما كان الظلام كاحل

يومئ برأسه موافقًا بعد ما قام بتصنع الملل
ثم تقول وهي تبتسم في سعادة واستحياء:
- وأحتاج إلى شيء آخر
استدار فجأة وعزم على الذهاب لتقول له روجين:
- إلى أين أنت ذاهب؟ أنا لم أخبرك عن الشيء الذي أريده
يلتفت إليها ويبدو عليه الإرهاق وعدم القدرة على التحمل، ويقول وهو يغمض عينيه ويومئ برأسه علامة على الرفض:
- ذاهب لكي أحضر لك البائع إلى هنا، فهو لديه من الذاكرة التي تحفظ ما ليس لدي، كما أنه لديه القدرة على التحلي بالصبر أكثر مني
تضحك روجين في سعادة

***

-أهلًا ومرحبًا بكم مرة أخرى، ونستكمل الحوار الشيق مع المفكر والفيلسوف الدكتور عباس المحمدي،أهلًا بك مرة ثانية يا دكتور
-أهلًا بك يا مادلين
-دكتور عباس هل تشعر بالمعاناة؟
-المعاناة التي يعاني منها المثقف نحو الجهل الذي يحيط به من الآخرين لا يضاهيها أي معاناة أخرى
منذ أربعين عامًا،وأنا أسعى لكي أعلم ما كنت لا أعلمه،وأدرك ما كان عقلي يجهله،أو بمعنى آخر كان يدرك جهل الشيء، ولكي أمحوا هذا الجهل كان لا بد من مجهود متواصل دون انقطاع، وبعد معاناة طويلة وشقاء مستمر استطعت أن أعرف أن ما أنا عليه، هو من وجهة نظري السبب فيما وراء ما نحن فيه
أنا أقول من وجهة نظري بمعنى أنه نسبي وليس مطلق، وهذا نقيض ما نراه الآن في كل مكان بشكل واضح للجميع وهذا في حد ذاته خطأ فادح
إن كل إنسان يعتقد أنه على صواب؟
نعم، عندما يعتقد كل إنسان أن ما لديه هو مطلق الصواب، والآخر هو مطلق الخطأ، فهذا ليس له تعريف سوى الجهل،أليس هذا ما نعاني منه الآن؟

-الرفض الذي تعلنه الآن يسبب إزعاج الكثير، الذين يعتقدون أن الحقيقة المطلقة لديهم وحدهم، ومن ليس معهم فهو ناقص إيمانه
-أعلم أن لدي من الأفكار ما لا تناسب عقول الكثير، ولا تندرج تحت لواء المنطق الخاص بعقولهم، ولا تتوافق مع ما لديهم من اعتقاد، وهذا يعود إلى القيام بتوظيف العقل للمهام التي خلق لها
-أعلم أنها لمعاناة للمدرك أن يتصدى لأصحاب هذه الأفكار المحملة بالغضب والمفعمة بالدماء
-المثقف قادر على تقبل الآخرين مهما وصل بهم من الانحدار الأخلاقي والتدني في فرض الآراء دون أن ينفعل أو يطالبهم بالصمت والهدوء
-أعتقد أنه دور المثقف هو مواجهة الغضب بالحلم والفكر الخاطئ بالحجة والبراهين
-دور المثقف هو الانعزال عن الناس لكي يتجنب أفكارهم البلهاء والثرثرة الجوفاء حتى يتأمل في الواقع جيدًا ويعلم ما هو الغائب الذي تسبب غيابه في الانحدار وما هو الموجود الذي تسبب وجوده في الانهيار
-المواد المرئية لها دور فعال وأنا أرى أننا الآن أصبحنا نهتم بشئ جيد في اختيار السيناريو والروايات التي تحمل معنى جيد ولغة راقية
-أكيد هذا له دور فعال وملموس على أرض الواقع، برغم أنه لم يأت من فراغ، بل يحدث هذا بعد مجهود كبير، فمثلًا لا بد من حسن اختيار القصة التي تدعو الإنسان للفضيلة، ولا بد من اختيار مخرج ينتمي للفن الهادف، ولا بد من اختيار فنانين يحبون ما يفعلون، ولكن هناك على الصعيد الآخر بين قوسين الإعلام الموازي الخاطئ لا يحسن الفن في الاختيار وهذا يسبب إزعاج للمتلقي الذي يدرك ما يقال
-على سبيل المثال شاهدت منذ يومين برنامج كان به رجل داعية، يدعو لضرب زوجته إذا لم تتجاوب معه في أمر يريده هو فهل هذا من العقل؟
-وقبله بيوم واحد رأيت أيضًا برنامج يقول فيه الضيف أنه ليس على المتحرش من الشباب لوم إذا كانت ملابس الفتاة غير مناسبة فهل هذا يعقل؟

نحن نقول لا نريد أن نعود للعصور المظلمة، وهناك من يساعد أن نعود بالفعل إليها
والغريب في الموضوع أن من قال هذا سواء كان من هذا أو هذا رجل داعية
يصمت قليلًا ثم يقول:
أنا لا أعلم ماذا أقول لهؤلاء الرجال،حقًا لا أعلم
أنا فقط أشعر أنهم في حاجة للشفقة
تبتسم مادلين وتقول مازحة:
لا أشعر بقيمة الوقت عندما أتحدث معك، فأنت حديثك يفوق الجمال جمالًا، ولذلك أريد أن أعلم كل شيء تعلمه
يبتسم ويقول مازحًا:
-منذ العديد من السنوات وأنا أبحث ثم تأتين أنت وتريدين الحصول على ما لدي في بضع دقائق
-وهل هذا عن فطنة مني أم عن حمق؟
- أعتقد أنها الحنكة والحكمة
تقول مازحة:
-أخشى أن تكون رعونة وغرور مني، ولكنك تحاول أن أبدو في اتزان أمامك وأمام المشاهدين
-أنا لا أعرفك على المستوى المهني فقط، بل أعرفك أيضًا على المستوى الشخصي، وهذا يجعلني أخبرك أنك أفضل مما تظنين بنفسك
-أشعر بالسعادة في وجودك معنا، فأنت لديك من الفكر ما يضيء الظلام الذي نعيش فيه
يقول مازحًا:
-أعلم هذا جيدًا
-أعتقد أنك تحاول التواضع، ولكن التواضع لا يليق بك
يبتسمان الاثنان معًا
-بالنسبة لرجال الدين الذين ليس لديهم غير التكفير والتفرقة بين الناس، فهم

أيضًا لديهم نصيب من قلمي وفكري، وما زلت حتى الآن انتقد كل منهما عن تلك الأفعال التي لا يصلح لها البقاء
اولًا رجل سياسي يتلاعب بعقول الناس ويسرق أموالهم ويحطم أحلامهم ويسلب حقوقهم،وثانيًا رجل دين يقوم بتسيس الدين،أي بمعنى يوظف الدين في خدمة حاكم أحمق ليصبح رجل الدين أشد حماقة منه
ويجب أن نذكر ما قلته للتو،أنا أقول رجل دين وليس الدين ذاته، حتى لا يخرج علينا كاتب من أصحاب العناوين المليئة بالدم، التي تلفت الانتباه تحت عنوان مفكرون يسيئون للدين
-ورأيت الكثير يكذب من أجل التجميل
-هذا أمر فادح، وأنا أقول:
لا تكذب من أجل الإصلاح فلا بناء يقوم على باطل
وبالنسبة للسؤال الذي طرح مؤخرًا بخصوص التوقف عما أقوم به، فأنا أعلن أمام المشاهدين أن عباس لن يتوقف ولن يتراجع إلا أمر من الثلاثة أمور
كان يبدو على مادلين التركيز والهدوء:
-وما هم الأمور الثلاثة؟
- الموت أو تراجعهم عما يفعلون أو السجن،فكلمة يوسف عليه السلام عندما قال: رب السجن أحب إلى مما يدعونني إليه وإلا تصرف عني كيدهن أصب إليهن وأكن من الجاهلين، أشعر أنها مناسبة ومعبرة في هذا السياق،وبالنسبة للسجن فقد سجنت، وبالنسبة لتراجعهم فهم لم يتراجعوا، وبالنسبة للموت فلم يأت بعد
ثم نحن نعلم أن الثائر:
هو من يقول لا بصوت مرتفع دون خوف، بعد ما أدرك خطورة الصمت
والمثقف هو من يقول لا مع ذكر السبب مع اقتراح الحل المناسب
والجاهل يقول ما يقوله الأغلبية من حوله
-متى كانت بداية الخوض في صراع فكري مع هؤلاء الذين يسخرون الدين من أجل مصالح شخصية؟

-أعتقد أنه منذ ظهور أصحاب الفكر المتطرف، المتخفيين في الجلباب القصيرة واللحية الطويلة والسواك والبخور، وهذا النوع من الفكر الذي لم يحصل على شيء من المضمون، بل اتخذ من الظاهر ما يشعرهم أنهم هكذا أصبحوا من الذين وقع عليهم الاختيار بعناية إلهية، والبلد أصبحت في انحدار أخلاقي وثقافي والذي كانت بداية للتصدي لهم

أصبحنا لا نهتم بالعلم ولا بالثقافة

ثم كيف نهتم بذلك في وجود حضرة الشيخ الجليل فلان الفلاني الذي لديه أفخم أنواع السيارات الفارهة

والمنزل ذو التصميم الأوربي ثم يقف أمام الجميع ويدعو للتقشف والزهد

أصبحنا هكذا عندما خرج علينا العالم العلامة فلان الفلاني وهو يدعو للغزو على الأوربيين حتى نحصل على الغنائم، والمدهش حقًا أنه كان يقول ذلك أمام الكثير وكانت السعادة على الوجوه دون الشعور أن هناك شيء خاطئ

أصبحنا في انحدار عندما أصبحنا نقتل من يفكر،ونسجن من يأول،وينعت بالكفر والزندقة من لا يبدو عليه التشدد

أصبحنا في انحدار عندما توقفنا عن قراءة كتب أفلاطون وأبيقراط وهيجل وبرنارد شو ونجيب محفوظ وعباس العقاد وطه حسين وابن رشد وابن سينا والفاربي

أصبحنا نرى الإنسان الذي يفكر في هيئة كافر مجوسي ملحد إرهابي مرتد، مثل ما رأى الكثير من الناس ابن رشد فقط لمجرد أنه اتخذ الهرمينوطيقا وسيلة لعدم قدرت أحد على تكفير أحد، حتى بلغ الجهل والتعصب بمن يعارضه إلى الحد الذي جعلهم يتصدوا لابن رشد على باب المسجد ويمنعوه من الدخول لكي يصلي

هنا فقط يتجلى علينا مدى الرجعية التي تعاني منها هذه الأمة بعد أن أحرقت مؤلفات ابن رشد التي أصبحت سبب أساسي في نجاح أوروبا وتقدمها المشهود الآن للجميع

-أنا فعلًا في حاجة إلى الحديث معك في هذا الأمر، لكونه من التابوهات التي لا

يستطيع أحد المساس بها
- هناك ارتباط وثيق ما بين الانحدار الأخلاقى، والتدهور الاقتصادي والعلمي، وسياق رجال الدين للخطاب، لكون الخطاب قادر على دفع الإنسان إلى أخذ زمام المبادرة والعمل بجدية، أو الدفع إلى القتل باسم الدين وإعلان الحروب على الآخر، وهذا الأمر لا يقتصر على عقيدة واحدة بعينها، ولكن جميع العقائد إن لم يحذر جيدًا رجالها أصبح الأتباع الذين ينصتون إليهم مثل القنابل الموقوتةن التي ربما تنفجر في أي وقت في الجميع إذا كان الخطاب مفعم بالعنصرية ويدعو للقتل لمن هو مختلف في عقيدته
- الاختلاف العقائدي ليس كافيًا للقتل كما نرى البعض يقول غير ذلك
-نعم بكل تأكيد،عندما تجدين شخص ما يعتقد أنه يحسن التفكير،ويقول كلام في قمة الخطورة أمام الآخرين، الذين يعتقدون أنه من أعلم أهل الأرض، فحتمًا سيتخذون حديثه مرجعية لهم، ومن ثم يبدأ البعض منهم في تنفيذ هذا الكلام على أرض الواقع، لا سيما إن كان مغلف بصبغة دينية تقول أنت هكذا تدافع عن العقيدة
وفى حقيقة الأمر هذا الحديث لا يدعو إلا للعنصرية والجهل، من إنسان اتخذ من الجهل نصيبًا مفروضًا
إنهم يلعبون على عقول الشباب حتى يقتلوا ويفجروا ويذبحوا من أجل الجنة ثم من يقتل هو؟
يقتل إنسان نحن في أحوج ما نكون إليه
الأرض كافية أن تستوعب الجميع، فلماذا نحن نبغض بعضنا ونقتل أشقاءنا؟
الحياة مليئة بكل شيء يحتاج إلى ذلك الإنسان،مليئة بالحب الذي يجعل من المستحيل ممكنًا،ومليئة بالسلام الذي لا يدعو للقتل والعنف والبغض،مليئة بما تدركه عقولنا كل يوم مما يزيد من ارتباطنا وليس هلاكنا بأيدينا
-والمدهش أيضًا كما قلت منذ لحظة واحدة، أن الجميع الذين يستمعون إليهم لا يراود عقولهم شيئًا من التفكير
-وكيف يقترب التفكير من عقل يلقنه رجال يرددون دائمًا،نحن ديننا دين

الحق،نحن أولياء الله الصالحين،نحن فقط من يحبنا الله،لن يحصل على متع الجنة سوانا،ولن يحصل على النار إلا من ليس معنا،هذا ليس على عقيدتنا إذًا هو كافر، لا يصلح أن يحصل على المعاملة الطيبة،ولم يعلموا أنهم يغرسون العنصرية بداخل كل إنسان يستمع وينصت إليهم،وما أكثر هؤلاء الذين يتشدقون بتلك الكلمات،وما أكثر أيضًا المستمعين الذين يصدقون ويبكون من الخشية،صدق من قال: يا أمة ضحكت من جهلها الأمم

يا ليتهم يعلمون أن أسمى العبادات ليست العبادات القائمة على الخوف من النار والرغبة في الجنة، بل أفضل العبادات هي العبادة القائمة على الحب الإلهي الذي يدعو للسلام والمحبة وليس شيء آخر

(ثم يزفر ويبدو أنه لا يروق له شيئًا:

ثم إذا أصابنا شيئًا ناتج من جلهنا لا نقول إلا عدة عبارات جوفاء:

إنها مؤامرة خارجية،إنها حرب على العقيدة،هؤلاء يريدون تدمير خير أمة،ولكن لدي سؤال،هل نحن لدينا حقًا ما يستحق أن يتخذوا هم وقتًا في التفكير لكي يقوموا بعمل مؤامرة علينا، أم نحن الذين لدينا وقت فراغ نفكر ونتخيل مثل هذه الأشياء؟

الإنسان الذي يعمل حقًا يجد صعوبة في إيجاد وقت لكي يفكر في مثل هذه الأفكار، وهذا يعني بشكل واضح وصريح إننا لا نعمل ولذلك نحن نتحدث

تتغير نبرة صوته إلى نبرة قوية:

نحن أمة تتحدث أكثر مما تعمل

أنا لا أرى أحد ناجح ينافس من هو أدنى منه نجاحًا،ولا أرى رجل غني يريد تدمير رجل فقير،ولا أرى رجل ذا علم ينافس جاهل،أين النسبة والتناسب هنا؟ أين نحن نقف؟

نحن نقف على شفا الهاوية،نحن لم نتقدم منذ العديد من السنوات باستثناء شيء واحد فقط وهو التقدم في الجهل،نحن نتخذ من الجهل ما يكفي لتدمير الأمة وتدمير العالم،أين نحن من الرقي الأخلاقي الذي يجب أن يفوق أي أخلاق أخرى؟

أنا أتحدث هكذا عن خبرة وليس شيء آخر، فأنا ذهبت إلى العديد من البلدان ورأيت الأخلاق والإحسان والإيثار والتواضع والتعاون والبشاشة والوداعة والإقساط والإعراض عن اللغو والاعتدال في الأمور والإصلاح بين الناس والإخاء والرحمة والاستقامة وغض البصر وحفظ الفرج والوفاء بالعهد والنظافة والمودة والمسارعة في فعل الخير وكظم الغيظ وقول التي هي أحسن والقصد في المشي والخفض من الصوت والحكمة وفعل الخير ودفع السيئة بالحسنة والعفو مقرونا بالصفح والعفو عن الناس والعفة والصدق والصبر وشكر النعمة والسلوك الحسن وسلامة القلب والسكينة وكل ذلك رأيتهم في البلاد الأخرى التي نردد الدعاء عليهم في المساجد خلف فضيلة الإمام

وأيضًا ذهبت إلى جميع البلدان العربية وجدت فيهم:

الأخلاق الذميمة والاستكبار وشهادة الزور والغيبة والفسق والفساد وعمل قوم لوط والغيرة والكذب والغل والغفلة والغضب والغش والغرور والعهارة والفجور والمسافحة والاختيال والعجب والهمز واتباع الشهوات ونقض العهد ومنع الخير والفواحش ومساوئ الأخلاق والقساوة والمخاصمة والمنازعة واللهو واللعب واللمز ولغو القول والكفران والنميمة والمكر والبخل والتجسس والتبذير والبهتان والبغي والبغض والتشييع للأخبار الكاذبة والبطر والافتراء على الله ورسوله والإفساد وإطاعة المسرفين والإسراف واستراق السمع والأثرة والطمع والبغاء

أنا لا أقول أن المجتمع الشرقي شعب مختار بل هو شعب لديه أخطاء كثيرة أيضًا،وأيضا لا أقول أن مجتمعاتنا العربية لديها ما ذكرت، ولكن ذكرت ما ذكرت حتى نعلم أن لدينا أفعال سيئة وليست إيجابية فقط، ثم أن الأفعال السيئة لا ينفرد بها شعب عن شعب وأمة عن أمة

-الله لا يميز بين شعب وشعب لمجرد إيمان أحد منهم بعقيدة معينة

-الله عادل في توزيع كل شيء على البشرية وقد أعطانا الله أربعة أشياء حتى نستغلها ونستطيع أن نرتقي وهذه الأشياء ليست مقتصرة على فئة دون فئة بل هي لكل إنسان بغض النظر عن الاختلاف في أي شيء وهي:

العقل،العقل ثروة هائلة قادرة على أن تجعل من الظلام نورًا ومن الظلم عدل ومن الشر خير ومن الخراب عمارًا ومن البغض حب،العقل ثروة لا تقدر بمال ولا يعلم قدره سوى العاقل

والشيء الثاني هو الإرادة،الإرادة هي التي تحرك الإنسان نحو القيام بشيء أو لا، أو بمعنى أحرى نقول هي الاختيار،الاختيار بين البقاء على ما أنت عليه أو التمرد والتحرك من المستنقع الذي تعيش فيه

والأمر الثالث هو

العاطفة، والتي تشكل دور كبير في حياتنا، فلا أحد قادر على العيش بدون العاطفة، وإلا كان الإنسان يفعل كل شيء بدون أن يكون له عاطفة تصده عن الأفعال غير الإنسانية

والشيء الرابع هو الخيال، والذي نفتقده هو أيضًا كما نفتقد ما قبله

-وكل ذلك لكل إنسان ليس لعقيدة ما؟

-لا استثناء بين أحد وآخر،يكفي ما نحن فيه من تفرقة وقعت بيننا بسبب رجال اتخذوا ما يتركه الشعوب التي ترغب في النجاح، ثم الله أكبر إنه يحارب من لا يؤمن به وإلا كان كل من لا يؤمن هلك منذ بداية الخلق

-ولكن نحن اتخذنا شيئًا ضئيلًا وتعاملنا من خلاله مع الواقع

-في الواقع نحن نتعامل مع المختلف عنا بأدنى مستويات الأخلاق،ماذا تنتظر من أمة تدعوا في دار العبادة بالهلاك على مجتمعات أخرى تنتج الأدوية وتطور التكنولوجيا حتى يعيش الإنسان في سلام، بغض النظر عن جنسيته ولونه وعرقه وهويته، ثم تأتي أمة خير أمة وتدعو عليهم بالهلاك لمجرد اختلاف فقط في العقيدة؟

أنا لا أقلل من شأن هذه الأمة، فأنا أحد أبنائها وأعلم جيدًا أن الخطأ بنا نحن، ولكن يجب التحلي بالشجاعة والاعتراف بالخطأ حتى تكون أولى الخطوات في العلاج

فلا يوجد طبيب قادر على علاج مريض بدون تحديد المرض، ومرض هذه الأمة هو الجهل، والجهل بنا وصل حتى النخاع

يجب أن نتحدث بكل صراحة وشفافية دون تجميل للأوضاع، فالواقع خير شاهد وأكبر دليل على ما لدينا من فكر، وهذا يأخذنا إلى تقييم الأمر جيدًا
وعلماء النفس لهم دور كبير في تقييم الأمر الخاص بهذا الشيء، ومن خلال دراستهم استطاعوا أن يتوصلوا إلى المراحل الفعالة والسليمة لتعامل الإنسان مع المشكلة
التفكير بالمشكلة يمر بأربع مراحل لكي يتمكن الإنسان سواء فرد أو جماعة من الحل
نحن هنا نعالج الأسباب، وليس المظاهر كما يفعل رجال السياسة، أو رجال الدين الذين يمنحون مسكنات خوفًا من الخوض بالتفكير مع المستمع إليهم
المرحلة الأولى هي مرحلة الاعتراف بالمشكلة وفهمها جيدًا،وذلك يعود إلى أن الإنسان الذي لا يعترف بالمشكلة، ولا يحاول أن يفهم مشكلته بالشكل التي هي عليه، ولذلك سيجد صعوبة في حلها
وهذا يسبب مشكلة أخرى يُبنى عليها مشكلة أخرى غيرها، وتتراكم المشاكل على بعضها، وحينها يحدث ما نعيش فيه،والمرحلة الثانية هي مرحلة توليد الأفكار والفرضيات
الإنسان إذا اعترف بالمشكلة، وتفهم الأمر جيدًا، سينتقل إلى مرحلة وضع احتمالات للحل، وبهذا الشكل نستطيع أن نقول هذا الإنسان كان فرد أو جماعة صادق مع النفس
والمرحلة الثالثة هي مرحلة اتخاذ القرار بالفرضيات المناسبة،أي إنه يقيم أي الفرضيات مناسبة وتستطيع أن تجعل من المشكلة مشكلة هشة
والمرحلة الرابعة هي مرحلة اختيار الفرضية وتقويمها،أي بمعنى بدء العمل بالفرضية التي وقع عليها الاختيار والعمل على حل المشكلة
أما نحن فنخشى الاعتراف بالمشكلة، ونفقد مواجهة الحجة بالحجة، وأسهل ما لدينا هو إما السجن لمن يتحدث، وإما القتل لمن يفكر، سواء من هؤلاء أو من هؤلاء، وهذا ما رأيناه من قبل
-ولماذا هذه الفئة من رجال الدين الذين تتحدث عنهم لا يقبلون بالتفكير الذي

يسمح بقبول الآخر مهما اختلف في أفكاره؟
-هذا الأمر يجعلنا نعود إلى القرن الحادي عشر
القرن الذي كان يعيش فيه أبو حامد الغزالي، والذي قام بتأليف كتاب تهافت الفلاسفة، الذي قال فيه: أن من يعتنق الفلسفة اليونانية الوثنية كافر
قالها صريحة،وكان المقصد من وراء هذا الكتاب هو تكفير الفلاسفة، الذين اعتنقوا هذه الفلسلفة حينذاك، عندما بدأ ابن سينا والكندي والفارابي اعتناق الفلسفة،كان فكر أبو حامد الغزالي هو الذي بدأ في الانتشار حينذاك
في القرن الثاني عشر ظهر لنا ابن رشد في الأندلس، واطلع على فكر الغزالي، فوجده قائم على تكفير كل من يفكر وهذا ما قاله أبو حامد الغزالي في تهافت الفلاسفة، فقام ابن رشد بالرد عليه من خلال تأليف كتاب:
»تهافت التهافت«
وأيضا وضح كثيرًا فلسفته في مؤلفات أخرى مثل:
مناهج الأدلة،وفصل المقال
كان يريد ابن رشد أن يجعل أصحاب العقول التي تريد التفكير تفكر دون الخوف من التكفير، لكون التكفير لدينا مرتبط بكارثة اسمها القتل
هذا كافر إذًا لا بد أن يقتل
هذا يفكر إذًا لا بد أن تقام المحاكم، ويحكم القضاء، وتغلق الزنازين عليه، لمجرد إنه تحدث بما لديه من اعتقادات، وهذا ما حدث مع ابن رشد عندما قام بتألف هذه المؤلفات
-ماذا فُعل به؟
-تم تكفيره وحرقت مؤلفاته
-وقُتل؟
-لم يقتل ولكن تم نفيه
-إذًا ابن رشد كان فيلسوفًا ومفكرًا مستنيرًا يدعو للتأمل والتفكير
-بالضبط ولكن كان أتى من بعده في القرن الثالث عشر من قام بنفس ما كان يقوم به الغزالي مع ابن رشد

-من هو؟
-ابن تيمية
-يعنى ابن تيمية كانت أفكاره متوافقة مع أفكار الغزالي ضد الهرمنيوطيقا التي كان يدعو لها ابن رشد؟
-نعم
-ومدى كان تأثير افكار إبن تيمية على وضعنا الحالى ؟
-كان تأثيره هو خلق فكر جديد ما نطلق عليه الآن الفكر الوهابى التي نراه من حولنا
- وبالطبع هذا له تأثير على عقول الكثير من بينهم الاطفال التي يدرسون افكارهم
- اخشى أن اخبرك أن المناهج التعليمية الموضوعة قادرة أن تخلق اجيال جديدة من الارهاب الذي يبيح القتل بأسم الدين ورجم النساء بإسم الدين وقطع الإيدى بإسم الدين
أي دين يبيح هذا ؟
إذا كان هناك إلهه يريد من الإنسان قتل اخيه الإنسان في سبيل نشر العقيده وإعتناق وإيمان الجميع بها فأنا برئ من ذلك الإلهه
وإذا كان سيخرج علينا رجال من هؤلاء الذين يفعلوا ما ليس في العقيدة وقالوا أنت تسئ لله اقول لهم عودوا إلى كتاب الله التي تؤمنون به ستجودن الله يحرم قتل النفس بدون حق فكأنه قتل الناس جميعا
هذا الفكر كفيل أن يخلق جهل يجعل الوطن اسوء مما نحن عليه الآن
لن اكون مبالغ إذا اخبرك أن الجهل قادر على تدمير امتنا أكثر من سقوط قنبلة ذرية على ارضنا مثل ما حدث في هيروشيما ونجازاكى
- وما هو الحل إذا ؟
- الحل في الثقافة التي لدينا
يجب التحلى بثقافة تقبل الإختلاف
ويجب إعادة التفكير في الامور بشكل أكثر عقلانيه بعيدا عن العاطفة وإلا

سيكون مصير الإمة العربية هو البقاء في مستنقع الجهل الذي نحن نعيش فيه منذ ألاف السنين ومازلنا وسنكون كذلك في المستقبل الذي لا يختلف كثيرًا عن حاضرنا الذي لم يتغير كثيرًا عن ماضينا

-وهل اسباب تقدم الغرب وتأخر العرب واضح وسهل إدراكه ؟
-بالطبع واضح ومعروف وهذا ما تحدث فيه الكثير اصحاب العقول المفكرة ولكن نحن لا نقرأ ولا نحترم من يقرأ
نحن نعيش في الماضى ولكن بتاريخ اليوم ، ولم نحصل على شيء من هذا التقدم سوى التقدم الزمني ولكن الفكر ما زال سجين الماضى
ما زال تقييم الاخر لدينا متوقف على حجم الإختلاف معه في الفكر أو العقيدة (يحتسى رشفة من الكوب الذي أمامه ويقول)
عدم تقبل المساواة والاخاة بين الإنسان واخيه الإنسان يؤدى إلى كارثة في المجتمع إذا كان به إختلاف عقائدى أو حتى فكرى
هذا ليس موجود لدينا
التمرد هذا لا نعرف عنه شيئًا
هو بالنسبة لنا تابوه لا يستطيع أحد الإقتراب منه حتى لا يقطع السياف رأس من يقترب ولكن هناك فئة قليلة جدًا هي التي تقترب دون أن تخشى
وتتحدث دون أن تقيم لمن حولهم وزنا
وتفعل ما تراه دون صوابا وإن كان بالنسبة لهم خطأ وكفرا
-ومن هم هؤلاء ؟
-الفلاسفة والمفكرين التي من دونهم كان الغرب لم يتقدم
-ومنهم سقراط وجون لوك وشوبنهاور وهيغل وفولتير وجاليليو
-اليس غريبا أن نكون في القرن الحادى عشر ومازلنا نفكر بعقليه جاهليه ؟
-عدم تكفير الإنسان الذي يستخدم عقله في إعمال النص الدينى هو اولى الخطوات التي تجعل التكفير ليس له وجود ، ومن ثم يتوقف سفك الدماء وعندما يحدث هذا سيصبح الإنسان مؤمن بالإختلاف الذي لا يؤدى إلى القتل

وهذا ما كان يدعو إليه إبن رشد ردا على الغزالى
- نحن نفقد ثقافة الإختلاف
- بالطبع لا نعرف عنها شيئًا برغم ما تمنح من إستقرار وهدوء
- اعتقد أن عدم القراءة تجعل الإنسان يصدق ما يقال دون تفكير أو عمل العقل فيما حوله
-القراءة تجعل الإنسان يهتم بذاته أكثر من اهتمامه بأى ذات أخرى بإستثناء اهتمامه بالمفكرين والفلاسفة والعلماء وهذا اهتمام مشروع لا ضرر منه ولا ضرار ، وهذه الفئة إذا اهتم بها الجاهل صار عالم وإذا إهتم بها الاحمق صار حديثه موضع اهمية بالنسبة للكثير
- وما هو الحل في هذا الأمر من وجهة نظرك ؟
- الحل يكمن في عملية تأهيل سريعة وفعالة
عمليه تأهيل للرموز التي هم بالنسبة لنا مصدر عطاء فكرى وثقافى
هؤلاء الرموز هم المعلمين في المدارس والاساتذه في الجامعات والشيوخ على المنابر والقساوسه في الكنائس والفنانين في كلماتهم والممثلين في ادوارهم والمثقفين في كتباتهم حتى لا يتدفق الجهل فينا أكثر من ذلك
-ولكن نحن نرى دائمًا التصدى القوى لمؤلفاتك من رجال الدين المتعصبين من خلال التهديدات الهاتفيه التي تحدثت عنها من قبل في إحدى المقالات التي تقوم بكتابتها
- اتذكر أن في مقال كنت قمت بكتابته منذ ثلاث سنوات تقريبا قلت فيه أن القاتل هو الرجل الذي يحرض ولكنه يقتل بيد جاهل وهذا ما يجعلنى اشعر بالرغبة في رفعه القبعة لهم
في إندهاش
-ترفع لهم القبعة ؟
حضرتك تريد فعل ذلك ؟
-نعم
-وعلى أي شيء تريد أن ترفع لهم القبعة ؟

-على النجاح الباهر الذي قاموا بتحقيقه
-في أي شيء حققوا النجاح الباهر هذا الذي تتحدث عنه ؟
-لقد نجحوا في تأكيد وتوثيق الأمر جيدًا
اخبرونا أن كل شيء يذكر فيه إسم الإله هو أمر لا يجب الإقتراب منه وإلا فأنت هكذا اصبحت من الفجار المرتدين مع أن الأمر سهل جدًا وليس بهذه الشده المفرطة ولكن هم نجحوا في هذا جيدًا بسبب الجهل الذي يتمكن منا وأنا فعلا اشهد لهم بهذا فقد اصبحوا لديهم السواد الاعظم من الناس
-الحديث في هذا الأمر شيق جدًا ولكن لدينا أشياء أخرى نريد التحديث بها إذا دعنا ننطلق إلى أمر آخر ذو اهمية حتى لا يسلب الوقت من تحت اقدامنا ولكن بعض الفاصل إنتظرونا

***

كان حمدي لا يأكل إلا مع صديقه يوحنا في نفس الإناء حتى قال له يوحنا في يوم وهم يتناولوا الطعام
-فضيله الأمام لا يتحدث معى منذ عدة أيام ، وإذا تحدث معه اقصر في حديثه وإذا نظر إلى كانت نظراته محمله بالهجوم الشديد
-أنا اعلم أن هناك فئات في العقيدة إستهدفت من قبل رجال افكارهم متطرفة ادى بهم إلى عدم تقبل الاخرين اصحاب الفكر المختلف أو العقيدة المختلفة ولكن هذا لا يقتصر على عقيدتنا أو مجتمعاتنا فقط بل هذا يحدث في جميع العقائدالمجتمعات ويعود في المقام الأول للتربية والتعليم
أنا اؤمن أن الإنسان إذا تلقى تربية تسمح بتقبل الإختلاف وقامت المدارس والجامعات بتوثيق ذلك فحتما لن يكون هناك مثل هذه الافكار
ولكن للأسف الشديد نحن نتعامل مع من يختلف عنا على إنه إنسان درجة ثانية
-ولكنك لست منهم
-أنا لست من هؤلاء الحمقى التي تتلون جلودهم وتتبدل وجوههم وتبغض قلوبهم احدا لمجرد إنه ينتمى إلى عقيده أخرى أو لونه يختلف عن لونى

-رأيت ذلك دون أن تذكر شيء منه
ثم قيل قديما
من لم يتقبل الإختلاف يومئ يعيش ما تبقى له جاهلا

-وأنا رايت فيك إخلاص لحبك لذلك الوطن الذي جعلك تأتى إلى هنا
-الحرمان الذي يعانى منه الفقراء قادر على أن يجعل كل من لديه عقل يثور
وكل من لديه قلب يغضب
وكل من لديه صوت يصرخ
وكل من لديه قلم يكتب
-حديثك يذكرنى بحديثى
-ولكن أنت لم تخبرنى لماذا تيت إلى هنا
يبتسم ابتسامة حزينه
-تقصد أي مرة ؟
ينظر له في تعجب
-هل اتيت إلى هنا أكثر من مرة ؟
-اتيت إلى هنا من قبل عندما اعتقد إنى استطيع فعل شيء ولكن للأسف لم استطيع ومع ذلك لم استسلم بل قاومت ولذلك اتيت إلى هنا مرة ثانية
-وما هي السبب في المرأة الاولى ؟
-لنفس السبب التي اتى بك إلى هنا
-وماذا عن افراد اسرتك ؟
-ليس لدى سوى والدى ووالدتى ماتوا وأنا في الخارج عندما كنت ادرس
والدتى ماتت اولا ووالدى لم يتحمل العيش بدونها
كانت قصة حب لا يوجد مثلها

***

يقف اثنين من الجنود على بوابة كبيرة تفوق حجهما عشرات المرات ويسرعان في فتحها عندما اتت اليهم الإشارة بإقتراب قائد المكان اليهم

اعلن جندى بزى عسكرى عن وصول القائد إلى الساحة بصوت مرتفع مما ادى إلى ارتباك الجميع وهرولة كل من هو يرتدى الزى العسكرى من الجنود إلى ما لا يعرف أحد منهم إلى اين ذاهب

لم يمر سوى عدة ثوان إلا ودخل رجل في الرداء العسكرى وهو راكب على ظهر حصان اسود اللون يتوجه به إلى الساحة التي بها العديد من المساجين ، وكان الجميع واقفون في صفوف متساوية كأنهم بنيان مرصوص وايديهم مشبكة خلف رؤسهم والشمس حارقة على وجوههم

كان ليس مدهشا على اصحاب الملابس الزرقاء أن لا يشعرون بالخوف من قدومه مثل ما حدث لهؤلاء اصحاب الزى العسكرى فكان العذاب الذي هم فيه اشد انواع العذاب

كان هناك مشاهد عديدة في مشهد واحد

كل وجه من هذه الوجوه يوجد بها قصة مليئة بالأحداث التي تكفى لصناعة سلسة افلام مليئة بالإثارة والتشويق والدموع والحرمان

وجوه ليس بها شيء من السعادة

وشفتين لا تعرف الابتسامة

وقلب ليس به شيء من المرح

ولكن المشهد الكبير الذي يبدو كبيرا يحتوى بداخله على جميع هذه المشاهد هو مشهد دخول ذلك الرجل الذي دخل ومعه الخوف ليرتجف الجميع منه في الساحة

يعبر البوابة ويدخل الساحة الفسيحة على الحصان الذي لا يدخل إلا به وكأن الأرض تحت قدمية لا تستحق أن يطأ عليها بحذائه ، أو ربما تكون خلقت لغيره كان على كتفيه كتافات تحمل لقب عقيد والتي لم يكن وصل إليها أحد في هذا السن المبكر من رفاقه سوى القليل والقليل جدًا مما ادى به إلى الايمان الشديد أن ما لديه من حكمة ليس عند أحد مما جعله يشعر بالتكبر والإستعلاء دائمًا

ظل يسير بالحصان أمام المذنبون والجنود حتى وقف على رأس الجميع

كان يبدو عليه الهدوء الشديد والراحة التامة والإستمتاع بالمشد كالذى ذهب

إلى أفضل البلدان ويرى ما لم يراه من قبل
كان في ظل الهدوء والسكينه التي يشعر بها كانت الراحة مسلوبة من كل من يقف أمامه بدرجات متفاوته بداية من الضباط الاقل رتبة منه مروا بالجنود إنتهاءا بالمذنبون

يقول العقيد شهاب في هدوء
-هناك وجوه جديد اراه اليوم
وهذا يدعو للتفاؤل والامل والسعادة والفخر والإطمئنان
(ثم يصمت قليلًا ويسترد قائلًا)
لا تعتقدوا إنى سعيد بوجودكم هنا في بركان التعذيب الخاص بالمذنبون ، ولكن أنا سعيد ومطمأن على البلد في وجود رجال يخاطروا بحياتهم ويحملوا ارواحهم على ايديهم حتى يأتوا بأعداء الوطن إلى هنا ولذلك أنا مطمأن على البلد لكونها في ايد امينه
(يقوم بتوزيع نظراته إلى الجميع في عدة لحظات)
ولا تقلقوا على انفسكم فأنتم هنا في امان أكثر من الخارج

كان يتحدث بكل هدوء وثبات وكأنه جالس في مكتب به مكيف هواء وماء بارد وقدح من القهوة وهو يلقى درسا على الموظفين لديه في مؤسسته ولا يبالى أن العطش يقتل الجميع ممن يقفوا أمامه حتى يذوقوا الموت بمنتى البطئ التي يدركه الإنسان
يقول متفلسفا
-السجن ليس مكان سئ كما يعتقد البعض منكم السجن هو المكان المناسب لكل إنسان يعتقد أن الواقع لا يروق له ولذلك أنت هنا لكي نمنحك درسا سيجعلك تتقبل الواقع وتتعامل معه على كونه أمر طبيعى وليس ضار كما يعتقد عقلك ويؤمن قلبك
كانت هذه كلماته التي لم يتقبلها أحد ممن يقفوا أمامه ، ولكن صوته اخترق

اذانهم مرة أخرى عندما قال لأحد الضباط الاقل منه رتبه في عدم اهتمام

-منذ متى وهم واقفون ؟
يرد عليه الضابط (ايوب) في سرعة وثبات
-منذ ثلاث ساعات سيادتك
لم يرد عليه شهاب سريعا
كان يبدو عليه التفكير في أمر شديد التعقيد ثم ينظر إلى الظابط ايوب من خلف النظارة السوداء ومازال يبدو عليه اللامبالاة واللااهتمام
-ارى البعض لم يبدو عليهم السعادة ولذلك يجب أن تتركهم لعدة ساعات أخرى حتى يشعرون بما اراهم له يفتقدون
يقول ايوب في نبرة لا تقل شأنا عن النبرة التي تحدث بها من قبل
-توجيهات سيادتك خريطة يا فندم
يشير شهاب بيده على بعض الأشخاص الذين سقطوا ارضا مغشيا عليهم من شدة الإرهاق والتعب الذي احاط بهم من كثرة الوقفة التي طالت عليهم و شدة حرارة الشمس المحرقة على رؤوسهم
- عندما يعودا هؤلاء الكلاب إلى الوعى ضعهم في سجن إنفرادى لمدة ثمان واربعون ساعة حتى يكون لديهم القدرة على الوقوف بدلا من إرادتهم الضعيفة هذه
يعطى ايوب له التحية بقوة وثبات ويقول
-تمام يا فندم
ينظر العقيد شهاب إلى الجميع ويتأمل في وجوههم الشاحبة المليئة بالتعب والإرهاق وكان ويبدو على وجوه الجميع انهم يتوسلون إليه بنظرات اعينهم حتى يحصلوا على كلمة وامر منه لمن هو ادنى منه حتى تجعلهم يحصلون على الراحة ولو لعدة دقائق من هذا العذاب الذي لا يتحمله أحد
ولكن لا حياة لمن تنادى فهذا هو ما يسعى إليه دائمًا
كان يسعى جاهدا لرؤية الإنكسار في اعينهم حتى يحصل على لذة الإنتصار

ولكن هناك رجل كان ينظر إلى العقيد شهاب نظرة لم تروق له
كانت نظرة لا تعرف الخوف أو التوسل
نظرة تقول له أنت لا تستطيع أن تجعلنى اطأطأ رأسى امامك
نظرة بها إنتقام
نظرة تخبره إنك ستكون ضحية لأفعالك هذه التي تقوم بها مع كل من يسقط بين يديك
كان يبدو على ذلك الرجل الثبات الذي لا يعرف الإهتزاز والشجاعة التي لا تعرف الخوف
كان لا يبدو عليه الإرهاق برغم الوقوف عدة ساعات في الشمس المحرقة دون تناول شيء من الطعام أو الماء
كان يتحدث بفم محكم بإحكام دون أن يتحرك اللسان أو تفترق الشفتان
فهنا لا دعوة لإله
ولا إعتراض على حكم
ولا تصدى لمسؤول
ولا صوت يعلو على صوت صاحب الزى العسكرى
يقترب منه العقيد شهاب حتى وقف الحصان أمام ذلك الرجل
- ما إسمك ؟
ينظر إليه الرجل الذي يبدو في الخامس والثلاثون من العمر في ثبات وبكل ثقة دون إهتزاز أو توتر وهو ينظر إليه ، وكان هذا الشئ هو من أكثر الأشياء التي تغضب العقيد شهاب ، فكان لا يريد من يتحدث معه أن ينظر إليه
وكأن النظر في عينيه جريمة لا تغتفر
كان يلتزم الصمت ولا يرد
يقول شهاب بعد صمت قليل
- أنت لا تعرف اسمك ؟
ما زال الرجل يلتزم الصمت وهو ينظر إليه
يقول العقيد شهاب ويبدو عليه إنه سيجعل منه رمادا يتطاير مع رياح الخماسين

التي تنشط في الربيع
يرد ادهم بأسلوبه الهادئ ولهجته الصعيدية البسيطه وهو يبتسم
-دعنا من الأسماء فهي اسخف ما تكون
-يبدو إنك ثرثار جيد
كان هادئ جدًا في الكلام برغم عدم تقبل ما يقوله ذلك الرجل والذي لا يعرف المصير الذي سيؤدى به نتيجة هذه الثرثرة
-الثرثرة الناتجة من رجل اخذت منه الحياة أكثر مما منتحت هي ثرثرة تستحق الإستماع
ما زال يتسم بالصبر والهدوء
-اعتقد أن الافضل لك هو أن تلتزم بما ارغب في الحصول عليه
-ما تريد أنت الحصول عليه هنا داخل اسوار السجن اسهل من تناول سيجارة وأنت تقرأ جريدة الصباح
كان شهاب منح له الكثير من الوقت التي لم يحصل عليه سجين من قبل كما سمح له بالثرثرة التي لم يحظى بها أحد من الضباط وليس من المذنبين برغم ما قاله ذلك الرجل كان لا يروق للعقيد شهاب
قام شهاب بطرح سؤال بسيط وفعال في هدوء
-هل تستطيع أن تجيب على السؤال بدون كثرة منك في الحديث ؟
-إذا كنت اعلم الإجابة ما تردت لحظة واحدة حتى لا تأمر كلابك وتوسخ البياده
ينزع شهاب النظارة من على عينيه في غضب
-وكلابك ؟!!
(ثم فجأة يقوم بالنداء بصوت مرتفع)
-حاتم حاتم
يأتى حاتم إليه من الخلف مسرعا إليه ويقف أمامه في وضع انتباه ويعطى له التحية
-تحت أمر سيادتك يا فندم

-اريد أن يتعلم كيف يتحدث مع اسياده
اريد أن يتعلم كيف يقف
كيف ينظر
كيف يصمت
كيف يحسن الرد
كيف يشعر بالنقصان
اريده كلب مطيع لأوامر سيده
اريده مطيع للأمر قبل أن يصدر صاحب الأمر الأمر
يقوم بإعطاء التحية له مرة ثانية ويقول
-تمام سيادتك يا فندم
يقول له العقيد شهاب
-حان الآن الوقت التي تدرك فيه أن ما لدينا ليس كلاب بل اسياد تطوف تحت اقدامهم الكلاب
آلا تريد أن تطوف ؟
يدفع حاتم بأدهم إلى الأمام ويقول في لهجته العنيفة
أنت يوم امك اسود يا إبن العاهرة

***

يدخل محمد وخالد المسجد قبل صعود الخطيب المنبر وكان يرتدى كل منهم لباس ابيض معطر مثل الكثير من الجالسين الذين ذهبوا لكي يؤدوا صلاة الجمعة وعندما قام الخطيب بالصعود على المنبر وبدأ خطبيته التي احضرها من قبل والتي كانت تتحدث عن التدنى الاخلاقى والعلمى والثقافى للدول الغربية التي تحارب الله من خلال الجهر بالمعاصى وإعلان الكفر والإلحاد وكان يبدو بغض الجميع لهذه الدول ومواطنيها التي تحدث عنها فضيلة الخطيب وبذل مجهود كبيرا حتى يستطيع أن يقنع الجميع أن هؤلاء ليس بينهم تقى ولا إنسان يستحق الرحمة بل ما هم إلا كائنات يجب التخلص منهم ولذلك كان يدعو عليهم كثيراً قبل ختام الخطبة الرائعة التي سعد بها الجميع من الجالسين وبعد

الإنتهاء من الصلاة وعندما بدأ الجميع في الخروج ادنى خالد من والده وقال له
-اريد التحدث مع الأمام قليلًا
-لماذا ؟
-اريد مناقشته في شيء
-هل شيء خاص بك ؟
-لا لا بإمكانك أن احضر معنا إذا اردت
ينهض خالد ومعه والده ويسيران سويا في إتجاه فضيلة الأمام الذي يجلس عند المحراب يسبح بأسم الإله بعد الإنتهاء من الخطبة المؤثرة التي ابكت الكثير من الحضور عندما ذكر النار وعذابها التي سيخلد فيها هؤلاء الكفار والملاحدة والذنادقة احفاد القردة والخنازير الذين يستحقون غرق ذرعهم وتشتيت شملهم وتمزيق اشلائهم وقطع نسلهم كما كان يقول فضيلة الأمام ويدعوا بذلك بكل قوة والجميع يردد خلفه في حماس وقوة وغيرة على العقيدة بكلمة واحدة امين امين امين
يجلس خالد ووالده بجوار بعضهما مواجهان للإمام يقول محمد
- السلام عليكم
يرد عليه الأمام بإبتسامة هادئة وصوت منخفض
-وعليكم السلام
-كيف الأخبار ؟
-بأفضل حال والحمد لله
يصمت محمد منتظرا من خالد أن يتحدث عن ما لديه من أمر جعله يقبل على الأمام
يقول خالد مبتسما
-في الحقيقة يا مولانا كنت محتاج اتحدث معك قليلًا في أمر هام بالنسبة لي
يقول الأمام مرحبا
-اوى اوى تفضل قل ما لديك
كان الأمر مألوف بالنسبة لذلك الأمام الذي يلجأ إليه الكثير في العديد من الامور

المتعلقة بالعقيدة والحياة
-شكرًا لك يا مولانا
أنا كنت على يقين إنك لن ترفض أن اتحدث واعرض المشكلة عليك برغم مشاغلك الكثيرة وبرغم ذلك تمنح الوقت والاهتمام لمن يريد
حقًا أنت مثال للعطاء
يبتسم الأمام فرحا من مدح خالد له ويسترد قائلًا وهو ينظر إلى الأرض ويبدو عليه الإستحياء
-شكرًا لك
كل ذلك بفضل الله وحده
-طبعا طبعا اصحاب العطاء دائمًا يتعمدوا أن يبدو للجميع في تواضع دائمًا وايضا ينسبوا اعمالهم الجميلة والصالحة إلى غيرهم واعمالهم الغير ذلك إلى انفسهم
(يبتسم خالد ويقول مجاملا)
وهذا طبعا إذا كان لديهم اعمال غير صالحة
تنقلب ابتسامة الأمام إلى ضحكة معبرا عن مدى جمال تلك الكلمات التي ينطق بها ذلك الشاب الصغير الذي لم يبلغ التاسع عشر عاما
-كل إنسان لديه اخطاء
يؤمأ برأسه موافقا على كلام الأمام
-فعلا كل إنسان لديه الكثير من اخطاء ولكن هناك اخطاء تكون بين الإنسان ونفسه وهذا أمر لا بأس به
وهناك اخطاء بين الإنسان والإله وهذا أمر خاص بالمخطأ والغافر للذنوب
وهناك خطأ ثالث وهذا اسوء انواع الاخطاء وهو خطأ الإنسان في حق اخيه الإنسان
يرد الأمام وهو يومئ برأسه علامه على الموافقة
-نعم كلامك صحيح
-وهذا ما جعلنى أن اجلس امامك الآن

-تفضل قل ما لديك فأنا مستمع لك وما لديك من أمر
-في الحقيقة أنا لدى صديقين في المدرسة
صديقى الأول صاحب البشرة البيضاء والثانى صاحب البشرة الغير ذلك والإثنين اعرفهم جيدًا ولكن هناك شيء مزعج اراه كل ما اذهب إلى المدرسة
-ما هو هذا الشئ ؟
-صاحب البشرة البيضاء دائمًا يسخر من الاخر ، ويفعل هذا أمام الاخرين ولا يراعى إنهم في النهاية بشر لهم اب واحد وام واحدة
اليس كذلك يا مولانا ؟
-نعم حديثك صحيح نحن جميعا مسلمين ولا يصلح أن نتعامل مع بعضنا البعض هكذا بهذ الشكل
-نعم أنا دائمًا اقول لصديقى هذا الكلام ولكن هو يرد قائلًا دائمًا
انه مسيحى
يقول الشيخ في اهتمام
-هل هو حقًا مسيحى ؟
-نعم
-امممممممم
-هل هناك شيء يا مولانا ؟
-لا لا نحن جميعا بشر وربنا يهديهم
-طيب هل هذا مبرر يا مولانا أن يقف صديقى هذا على مكان مرتفع ويدعوا على ذلك الإنسان بالهلاك ؟
هل هذا مبرر أن نتمنى له الخلاص ؟
هل هذا الأمر به شيء من الرحمة ؟
هل عقيدتنا تأمر بذلك ؟
اليست هذه عنصرية في ابهى صورها يا مولانا ؟
كانت تلك الكلمات لم تمر على فضيلة الأمام مرور الكرام بعد ما شعر أن ذلك الكلام موجها له هو وإن قصة صديقه هذه قصة مختلطة ليس لها وجود وإنه

قام بتأليفها لتكون بداية حديثه حتى يكسب تعاطفه مع المختلف معه عقائديا
- ولكن الأمر يختلف هنا
-صديقى ليست بشرته سوداء يا فضيلة الأمام وليس بها شيء من الإختلاف الإختلاف هنا (مشيرا إلى عقله) وليس هنا (مشيرا إلى بشرة وجهة)
-ماذا تريد أن تقول ؟
-اريد أن اقول أن هناك العديد من المفاهيم الخاطئة التي انشأنا عليها دون أن نفكر بها ومازلنا نمارسها على كونها شعائر دينيه وما هي إلا مجرد افكار شيطانية تدعوا للعنصرية
كان ينظر إليه الأمام ويبدو عليه الغيظ كالذى يقبض على جمرة من نار ويقول في صبر نافد
- مثل ماذا ؟
-مثل ما ذكرت لك الآن ويكفى ذلك لكونى بدأت اراك غاضبا ولا اريد أن يأخذ الحوار شكل هجوم ودفاع ، وعلى كل حال شكرًا لك على إستماعك وتعاونك معنا ومساعدتك لنا دون أن تعرفنا
يقول سريعا بنبرة اتهام
-يعنى أنت بتحب الكفار ؟
-أنا بحب الإنسان
في تعجب
-ولكنهم كفار
كفروا بالله وكفروا بالدين وبالرسول ثم تأتى أنت وتقول أن الدعاء شيء خاطئ ؟!
-بإمكاننا العيش دون عقيدة ولكن لا يمكن العيش بدون إنسانية ، وسيكون شيء ليس جيد على الإطلاق وإذا تعامل الجميع من الناس بنفس المنطق الذي تفكر به أنت
اذدادت نبرة الغضب
-هذا ليس إجتهاد شخصى

هذه عقيده يجب على الجميع تنفيذ اوامرها وإلا كان مرتد يقتل
في تعجب
-يقتل ؟!!
يقول بقوة
-نعم يقتل أم أنت لك رأى آخر في هذا الأمر
-أنا لا اعلم كيف تكون حياة الإنسان بهذا الكم الهائل هذا من الرخص الذي تتعاملون به ، ولكن دعنا من هذا الأمر حتى لا تتهمنى بالكفر ولنتحدث في الأمر الذي اتيت اليك من اجله
-هم كفار ويستحقون النار
-طيب ممكن نتكلم بهدوء أكثر من ذلك
-كيف اتحدث في هدوء وأنت تهدم عقيدة
يقول متعجبا
-اهدم عقيده ؟!!!
يقول غاضبا في نبرة إتهام
-نعم ما تقوله الآن يهدم العقيده
هذا كفر
كان ما زال خالد يتحدث في هدووء
-هذا ما اتحدث عنه
التكفير
الكارثه الكبرى
نحن نمتاز في التكفير والدعاء على الاخرين
على كل حال يكفى مناقشة معك
نهض خالد ووالده بعد ما القى خالد السلام على الأمام وهو ذاهب مع والده إلى الخارج وبعد ما ارتدى كل منهما الحذاء الخاص به قال له والده
-ليس كل ما يدركة العقل يقوله اللسان فهناك عقول غير مؤهله أن تستمع لما أنت تراه صوابا

-ولكن هذا إفساد في الأرض وتدمير العقول ونشر البغض في النفوس تجاه الاخر
-يبدو إنك ادركت ما لا يجب أن تدركه ولذلك يجب أن تلتزم الصمت حتى لا تجد نفسك وحيدا في هذه الحياة
-الصمت عن الجهل يجعله ينتشر وعدم التصدى بالحجة للجاهل يجعله يتمادى فيما لديه من افكار هدامه وهو يتوهم إنها افكار بناءة
-كل شيء له توقيت ولا تنسى أن التوقيت له عامل اساسى وفعال في نجاح وصول الفكرة إلى الاخر بدون خسائر فادحة
يقول ويبدو عليه التعجب
-فادحة ؟
-نعم فادحة فأنت تتحدث في عقيدة
-أنا لا اتحدث في عقيدة ولكنى اتحدث في افكارهم التي لم تأتى في العقيدة
-هم لهم فهم مختلف لعقيدتهم
-ولكنها عقيدتى أنا أيضًا
-لكل منا فكر مختلف
-ولكن الحق واضح كوضوح الشمس في يوم شديد الحرارة
ثم يقف والده مكانه مما ادى إلى وقوف خالد ونظر إليه والده في عينيه ووضع يده على كتفه وقال
-يبدو إنك ستتخذ هذا الأمر سبيلا
-هل تريد منى الصمت واكون من القطيع ؟
-لست أنا من افعل ذلك بك ، ولست أنت من تقبل ذلك منى ولكن اريد أن اقول لك شيء مهم للغاية يجب أن يكون دائمًا في اذنيك وامام عينيك
-ما هو
-لا تسير مع الاغلبية لكونهم اغلبية
ولا تقلل يومئ من شأن الاقلية
ولا تهدم شعائر دينية تقدسها البشرية
***

يفتح شادي الباب لتدخل روجين اولا إلى الكافية لكي يحتسوا فنجان من القهوة
تقول روجين وعينيها تتجول في المكان
-هذا المكان رائع
- هل هذه أول مرة تأتى إلى هنا ؟
- نعم هذه أول مره
- كلما اردت احتساء قدح من القهوة حضرت إلى هنا ، كما أحب القراءة هنا أيضًا
تقول راغبة في معرفة المزيد
- يبدو أن هذا المكان له ذكريات معك ولذلك تأتى إلى هنا من وقت لأخر حتى تشعر ما كنت تشعر به من قبل
يومئ برأسه على موافقة ما تقوله
- فعلا
أنا أؤمن أن الاماكن تشهد على الذكريات فهي قادرة على أن تعود بنا إلى الماضى للدرجة التي تجعلنا نراها أمام اعيننا وكأننا اخترقنا حجاب الماضى ونشعر إننا نعيش الحدث مرة أخرى ولكن بدون القدرة على إضافى شيء أو تغير أمر
ثم يذهب بعينه بعيدا ويبدو عليهما الشرود وهو يقول
يبدو أن العقل ادرك أكثر ما قدر له أن يدركه ، وهذا كاف جدًا أن يجعلنا نشعر إننا اكبر من اعمارنا التي تسير معنا لحظة بلحظة
الحنين إلى الماضى هو أكثر ما يغرس الخوف في قلب من يريد إمتلاك قلب صاحب الذكريات
حينها يشعر أن القلب اصبح ليس به مكان للإستقبال أو على الاقل يكون في حاجة إلى المزيد من المجهود حتى يجد له ثغرة لكي يتسلل إليه منه ويثبت له إنه قادر على الوفاء
يبدو في عينيها الشعور بالخوف والقلق من أن يكون ما تفكر به هو أمر حقيقي
تقول والخوف في عينيها
- هل هذه الذكريات مع حبيبتك الاولى ؟

الإنتظار هو أكثر الأشياء بغضا لدى الكثير ، ولكن كيف يكون الإنتظار إذا كان الأمر متعلق بالعاطفه ؟
يبتسم ابتسامة كالذى فقد شيء ذو قيمة ولم يستطيع الحصول عليه
- كانت حياتى جادة جدًا منذ الصغر ، وكان ليس لدى وقت لكي اجعل قلبى ينبض حبا وشغفا بأحد ، كان لدى العديد من الأشياء اشعر إنها فرضت على ولذلك كنت مشغول كثيرًا في القيام بها ولذا لم أحب يومئ فتاة الحب الذي يدركه العديد من الشباب والفتيات
تحاول جاهدا أن تخفى السعادة التي اقتحمت قبلها واشعلت نيران حبها بداخل قلبها
- وهل كنت تعيش حب آخر غير الحب الذي يدركه الجميع ؟
- بالطبع كان هناك حب لأصدقاء الجامعة فقد كنا أكثر من مجرد اصدقاء وهذا هو الحب الذي ادركته
ثم قال بنبرة مليئة بالحنين إلى الماضى
-هذا المكان يزكرنى بهم دائمًا ولذلك هو المفضل بالنسبة لي عن باقى الاماكن المحيطة بى في كل مكان
-يبدو أن تشعر بالحنان للماضى
-استمد القوة دائمًا من الماضى فلولا الماضى ما كنت استطعت فهم الحاضر والإعداد للمستقبل
-واين هم الآن؟
-من ؟
-اصدقائك
- لا اعلم ولكن اشعر إننا سنلتقى قريبا
(يبتسم ويقول)
-انسى الأمر والآن اخبرينى هل راق لك الفيلم ؟
تقول مبتسما ويبدو علي وجهها السعادة
- الفيلم كان رائع وكان يحمل محتوى جيد جدًا

- فعلا روجين الفيلم كان رائع وأنا ارى أن هذا لا يعود للروائى كولم توبين فقط بل كل من شارك العمل بهذا الشكل الرائع من مخرج لفنانين لكل إنسان كان له دور حتى ولو كان صغيرا

-فعلا حديثك صحيح ولكن بنسبة كبيرة يقع الأمر على عاتق الروائى والكاتب ومن ثم المخرج الذي يقوم بوضع الرواية في القالب المرئى ليصبح مادة مرئية تدخل كل منزل وتعرض أمام كل مشاهد متلقى
- نحن في حاجة إلى المزيد من مثل هذه الافلام التي تحمل في طياتها رسائل ودعوة للشباب على اعتناق الفضيلة وبغض الرذيلة وليس كما لدينا من الافلام التي لا تدعوا إلا لأشياء قبيحة وكل الغرض منها هو العائد المادى دون مراعاة مشاعر الجمهور أو احترام عقولهم
- اتمنى أن يلتزم كل كاتب وكل اديب بكل كلمة وبكل حرف يكتبه حتى لا يصبح شبابنا ضحية لفن هابط ولا يساعد المتلقى وخاصة الشباب على الإنحراف الاخلاقى والفكرى والسلوكى
الذي اصبح يعبر عن الجهل التراكمى الذي يسود في واقعنا هذا والذي اصبح ثقافة الشارع
يبدو على شادي عدم الرضا
- كم أنا مستاء من الذي يحدث لنا على هذه الأرض داخل هذا الوطن بل وغاضب جدًا من الذي يحدث في جميع ارجاء العالم
نعم
لا تتعجبين إذا قلت العالم فأنا لا احسن فن التمنى والعمل للأرض التي انتمى إليها دون باقى البلدان ولكن سعيد شيئًا ما أن هناك امثال هؤلاء إتخذوا من التفكير ما يكفى للإرتقاء بهم من القاع ويجب علينا أيضًا الشعور بالغيرة على الاقل والاهتمام بما لدينا من أشياء وإستغلالها لكي نصبح أفضل ولا نلتفت ونهتم بما هو اقل الأشياء التي لا يقارن المكسب مع الخسارة من حجم الخسارة الكبيرة وقلت المكسب العائد

ترد روجين ويبدو عليها الاهتمام
- ارى أن العالم المادى اصبحت يقود الإنسان وعندما اعتنق هؤلاء اصحاب تلك الاعمال السيئة التي نراها دائمًا بشكل مستمر اصبحنا نعيش في عالم منفلت اخلاقيا وامنيا على الشاشات ومن ثم اصبح له تأثير ملموس على أرض الواقع من افعال الشباب الغير مؤهل والغير قادر على التفكير في الأمر بعقلانية والفصل بين ما هو يجب على الإنسان القيام به وما هو لا يصلح للإنسان
ثم تصمت قليلًا وتقول في يأس
هل تعتقد إنه سيأتى يومئ ويتبدل فيه الفكر هذا بما هو أفضل ؟
وهل تعتقد أن هؤلاء يفعلون هذا وهم يدركون جيدًا خطورة ما يقدموا للجميع من مادة لا تستحق الكتابة أو المشاهدة ؟
هل اصبحنا نعيش اللايكية في داخلنا ونظهر للجميع غير ذلك ؟
هل التناقض يتمكن منا بهذا الحد الذي يجعل كل مدرك للأمر يشعر بالقلق ؟
- أنا لا اقف مطالبا باللايكية أو الذهاب بالثيوقراطية إلى الجحيم لكون هذا يقلقنى كثيرًا فنحن لا نحسن التصرف إذا امتلك الإنسان الحرية دون أن يدرك قيمة ما يمتلك
أنا حقًا اخشى من هذا وهذا ما يجعلنى اشعر بالتناقض بداخلى فأنا دائمًا اطالب بهذا ومع ذلك اشعر إنى سأمنح سلاح لمجرم حرب يفعل ما يفعل وهو لديه إدراك إنه للصواب يؤدى وللشر يبتعد كإبتعاد المشرق على المغرب
تبتسم روجين وتلمع عينيها في سعادة
- اشعر بالبهجة والسعادة كثيرًا اليوم ولكن هناك شيء لا استطيع نسيانه
يرد شادي بثقة ونبرة هادئة رومانسية
-إذا شعرت بالسعادة حقًا فهذا أمر استحق الرضا عليه
-ومن من تنتظر الرضا ؟
- انتظر الرضا من ذاتى على ذاتى
لقد اتخذت عهدا أن اكون مصدر للسعادة لك وليس مصدر شقاء وتعاسه ، ومع كل ابتسامة منك اشعر إنى اسير في الطريق الصحيح دون إنحدار من عليه

-فعلا أنت تسير على الطريق الصحيح
يبتسم شادي
-ولكن لم تخبرينى عن الشئ التي لا تستطيعين نسيانه
تبتسم روجين ويبدو عليها التعمد بتذكره بالخطأ الذي إرتكبه
- تأخيرك اليوم على الميعاد كان أمر سئ للغاية
اشعر إنه حفنه من الملح وضع على طعام لا يحتاج إلى كل هذه الكمية
ولكن يبدو إنها فشلت فيما كانت تسعى إليه فلم يصدر منه ما كانت تتوقع من تعصب بل ابتسم وقال
- لقد اعتذرت مرتين حتى الآن ويبدو أن الإعتذر للمرة الثالثه لا يغير شيء فهل بإمكانك إخبارى بما يجب على القيام به حتى تنسى الأمر ؟
- لا اعلم ولكن يبدو
يبدو عليها التردد
- يبدو ماذا
- يبدو أن هذا يعود في المقام الأول لشعورى بالغيرة
يبتسم في سعادة ويقول مندهشا
- حقًا تشعرين بالغيرة ؟
يبدو عليها الإستحياء
- بالطبع اشعر بالغيرة
في سعادة
- ومن أي شيء تشعرين بالغيرة ؟
يبدو عليها الإستحياء كثيرًا
- اشعر بالغيرة من الإجتماعات التي تمنح لها العديد من وقتك ومن العمل ومن القراءة ومن كل شيء يحيط بك وتفكر به
اشعر إنى لا اريد أن يفكر عقلك في شيء سوى أنا ولا يدرك إلا الحب ولا يتمنى إلا البقاء بالجوار
كان يبدو على روجين إنها تتحدث مع ذاتها أمام مرآة وهذا هو التفسير الوحيد

الذي اعتقده شادي
، فكانت دائمًا تستحى من قول كلمة واحدة مما قالت ، اما الآن فقد سمع منها كلمات كان لا يعتقد إنها سيكتب لها الخروج يومئ من السجن الذي بداخلها والذي يقف اللسان حارس على باب الزنزانه مما ادى به إلى الشك في الحواس أكثر من الشك الذي راود ديكارت مع أن ديكارت إستطاع الوصول للحقيقة عندما توصل إلى مبدأ الكوجيتو والذي جعله يدرك وجود نفسه ولكن الأمر بالنسبة لشادى كان أكثر شك حتى قام بتحسس جسده حتى يطمأن إنه هنا يبتسم لها وقال
- لا داعى للغيرة سيدتى فأنا رجل جاد في الحياة مخلص في حبى وليس لدى أي سبب كاف حتى ارى فتاة غيرك في هذه الحياة وهذا لا يقلل من شأنهن ولكن يزيد من شغفى بك
-حقًا أنت تشعر بذلك ؟
-لقد احظيت بتربية منذ الصغر تدعوا إلى احترام المرأة وتعزيز شأنها كشأن إنسان لديه عقل وقلب وروح وإحساس ومشاعر ورغبات وإرادة وعزيمة وإدراك ثم أنا لم اتلقى يومئ دروسا لهؤلاء الحمقى الذين يقللون من شان النساء والتعامل معها على كونها خادمة في النهار جسد ممدود على الفراش في المساء، فأنا لست احمق إلى الحد الذي يجعلنى مؤهلا لرؤيتها وجبة جسدية شهية تصلح لذلك الحيوان الذي يسكن بداخلى ويلازمنى دائمًا
تقول في خوف
-كنت اشعر بالخوف كثيرًا عندما اتذكر إنى اعيش في وطن عربى تحت مظلة الرجل الشرقى الذي لا يرى الإنثى سوى كائن ناقص في حاجة إلى المساعدة بقيادة رجال يلتزموا بالعادات والتقاليد على كونها ثوابت عقائدية لا تتغير
-لا تقلقين فقد اخترق ذلك الصوت الصاخب اذنى كثيرًا من افراد ذلك الفئة التي تلقن افرادها بكل قوة
-يعتقدون أن ما لديهم هو الحق المطلق
-نعم هم يعتقدون ذلك ولكن كنت دائمًا اشعر أن ما لدى هو الافضل ، ثم

أنا لست من هؤلاء الذكور الذين يتخذون اللهو سبيلا واللعب بقلوب الفتيات منهجا وغاية
لم ارى الفتاة كما ما تدعين فهن لست ضعيفات أو ناقصات كما سمعت منك ، ثم التحرر من القيود التي أنشأنا عليها تجعل الإنسان يرى أكثر ويتعامل مع الجميع بمنطق أفضل
تبتسم وهي تنظر في عينيه وتقول
- أنت حديثك يفوق أي حديث آخر
الجميع لا يشعرون بالملل من الجلوس معك لكونك تنصت بكل جدية واخلاص وإذا تحدثت اصبت وهذا شيء رائع ، هل تعلم بمن تذكرنى أنت من الرجال ؟
توسعت عيناه ورفع حاجبيه وبدأ يبدو عليه الغيره مما سمع وارد أن يتأكد مما سمع فربما كان ما سمع هو خيانه له من حاسة السمع
-من الرجال!!
في الحقيقة لا اعلم ولكن بدأت اشعر بالفضول في هذا الأمر الذي به الرجال هذا
تبتسم روجين من غيرة شادي التي تبدو في عينية
- أنت تذكرنى بالرفيق تشى غيفارا فهو كان هكذا يحب أن يستمع للجميع وهذا ما جعل الجميع يناضلوا من أجل الحصول على اللقاء به
آلم تستمع يومئ لمقولته الشهيرة عندما قال
أنا لا اوافق عن ما تقول ولكنى سأقف حتى الموت مدافعا عن حقك في أن تقول ما تريد ؟
يبتسم شادي فرحا عندما اطمأن قلبه عندما ادرك من المقصود من الرجال التي كانت تتحدث عنه روجين
- حقًا كان عظيما تشى وكان مناضل وثورى لا يخشى شيئًا وكانت لديه الشجاعة والجراءة التي لا يمتلكها الكثير من الحكام الآن
- وأنت أيضًا تتقن الكثير من هذه الأشياء في عصر لا يتقن الكثير من رجاله هذه الصفات

لقد رايتك مؤخرا تتصدى للغضب والعنف الذي كان يحدث في كل مكان من خلال المواضيع التي كنت تتحدث عنها وتكتب فيها وايضا في اللقاءات والمحاضرات التي كنت تعقدها وتطالب بالتوقف عن القتل وسفك الدماء الذي كان يحدث ومازال يحدث في كل مكان والذي اصبح منتشر أكثر من انتشارالإعلانات في الطرقات

وبالمناسبة حديثك راق لي كثيرًا في الإجتماع التي عقدته لرابطة الشباب التي قمت أنت بتأسيسها والذي راق لي كثيرًا في الاجتماع عندما نهضت فازعا وقلت بصوت مرتفع في وجه أحد الاعضاء عندما قال يجب أن نحصل على راحة فنحن منذ سنه لم نحصل على عطله ، حينها رأيتك غاضبا وكانت هذه أول مره اراك غاضبا ومع ذلك راق لي غضبا كثيرًا وحتى الآن اتذكر كل كلمة تفوهت بها حينها قلت بمنتهى الشدة والحزم

يجب أن نقوم بتزويد والوقفات الإحتجاجية ضد ما يحدث في البلدان العربية التي يقتل شعوبها من الاعداء فقد كفى دماء على الأرض فالأرض قد ارتوت حتى انبت شوكا جعلنا غير قادرين أن نسير عليها من كثرته وليس نخطط لعطلة وهناك ابرياء يسفك دماءهم في كل لحظة والثانية

وهذا ما لفت انتباهى لك لأول مرة وكانت بداية تعارفنا ببعض

-فعلا في هذا اليوم كنت اشعر بالضيق الشديد ، فقد كان هناك قذف مستمر على اطفال ورجال وشيوخ وشباب وسيدات ليس لهم ادنى دخل فيما يحدث وهذا جعلنى في حالة من العصبية المستمرة والتي كان يجعلنى دائمًا اصيح واطالب بالوقفات الإحتجاجية والإعتصامات والمظاهرات حتى يتدخل حكامنا في هذا الأمر

تشرد بعينيها بعيدا

- أنت كنت اصغر الموجودين عمرا ومع ذلك أنت الذي أسست هذه الرابطة وكنت دائمًا تطرح افكارا وحلولا لم يأتى بها احدا من كبار السن وهذا ما جعلنى اراك مشترك مع فيكتور هوجر في العديد من الصفات والأفعال المشتركة

(تبتسم وتضع يدها على جبهتها وتنظر إلى الاسفل وتقول)

انه غير معقول
- ما هو الشئ الغير معقول التي تتحدثين عنه ؟
-إصرارك وقوة عزيمتك وصفاتك التي تفوق عمرك بمراحل كثيره
- مجتمعاتنا العربية لا تتبنى موهبة ولا تعترف بكفاءة ولا تهتم بصرخة إنثى ، هي فقط تريد من يقتحم عليها بدون خوف أو إستحياء وحينها سيجد الإنسان نفسه في اعلى القمة ويصفق له الجميع على ما قدم وما يعتنق من امور وافكار ، أو سيجد نفسه في سفح الجبل بين الصخور والامواج المتلاطمة وفى تلك الحالتين الإنسان لم يخسر بل سيكتسب تجربة جديدة
- ولكنك أفضل من الكثير
- وهناك الكثير أفضل منى مثل فيكتور هوجو
(ثم يبتسم ويقول)
ثم من هو فيكتور هوجو التي تتحدثين عنه أنت والتي ذكرته أنا ؟
تنظر له في تعجب
- هل أنت حقًا لا تعرف ؟
يأتى النادل اليهما وينظر إلى شادي ويقول وهو يبتسم
- حمدالله على السلامة يا إستاذ شادي
يبتسم له شادي
-شكرًا يا على
- هل تريد تناول شيء آخر غير القهوة الخاصة بك ؟
يبتسم شادي ويقول
- لا اريد شيء آخر
ثم يتوجه إلى روجين قائلًا
-وحضرتك ؟
تبتسم وتقول
- من القهوة التي يحتسيها شادي
يبتسم شادي وينظر للنادل فيفهم النادل ما يجب عليه القيام به

- هل بإمكانك أن تحدثينى عنه قليلًا ؟
- عن من تريد أن احدثك ؟
- عن هوجو
- اعتقد إنه من الصعب جدًا لإنسان مثقف لا يعرف عنه شيئًا وخاصة عندما يكون المثقف هو أنت
تصمت وتطيل إليه النظر لعدة لحظات ثم تقول
-اعتقد إنك تحاول أن تبدو لي انك تجهل ذلك الشخص وإنك تتعمد الظهور بهذا حتى تجعلنى في موضع سؤال وإختبار ولكن أنا اتقبل الأمر منك ولا بأس أن يختبر المعلم التلميذ والآن دعنى اخبرك بعض الشئ عنه برغم الشعور ا الذي وضعتنى به
أن كنت لا تعلم فيكتور هوجو كما تدعى فهو اديب فرنسى متميز عاش في القرن الثامن عشر وكان مشهورا ومعروفا بين الكثير كواحد من الكتاب الفرنسيين وكانت من أفضل الأشياء التي يمتاز بها هوجو عن ادباء القرن الذي عاش به هو رفضه التام وموقفه الصريح ضد إنهاء حياة الإنسان التي تتمثل في عقوبة الإعدام التي تأتى فارغة وتذهب بنفس إنسانية ربما اخطأت يومئ ولكنها مهما كان الخطأ عظيما فلا لا يستحق الموت فلا أحد لديه الحق في قتل إنسان حتى ولو كان قاضى أو حاكم فكل منا بإمكانه أن يصبح سويا اذا وجد المناخ المساعد على هذا وهذا ما لفت انتباه الشاعر الفرنسى ألفونس دى لامارتين له والذي وجدت له بعض مؤلفاته معك ذات مرة وقد قام لامارتين بوصف هوجو بعد ظهور بعض رواياته بشكسبير الرواية وايضا راق له كثيرًا موقف هوجر الذي كان يقوم به ضد الظلم والشر والقبح كما وجده أيضًا لامارتين انسان حقًا سويا وهذا ما رآه لامارتين عندما وجده يقترب كثيرًا إلى الفقراء والمظلومين كما اعجب كثيرًا لامارتين لإستماعه لمشاكل الناس ومساعدتهم في حلها التي غفل عنها الحكام والمسؤولين الجالسين في امكانهم ولكن برغم من مكانة هوجو بين المفكرين والروائيين إلا انه لم يخشى على نفسه يومئ بقدر خشيته على الفقراء والضعفاء

كان يستمع إليها بشغف ، وينظر إليها كرجل لم يحصل على رؤية شيء به الكم الهائل من هذا الجمال الذي تجسد في فتاة مثل ما تجسد في هذه الفتاة التي تجلس أمامه وتتحدث معه

حينها كانت كلمات عبد الوهاب تتردد في اذنيه

وابيع روحى فدا روحى وأنا راضى بحرمانى

وعشق الروح مالوش آخر لكن عشق الجسد فانى

يبتسم ويقول مشجعا لها

- لقد اخبرتينى عن ما لا اعرفه عن هوجو

يبدو إنى في حاجة إلى إعادة تأهيل

تبسم وتعلم إنه جدير في المدح

-هل حقًا كنت لا تعلم شئيا عنه أم كنت تقوم بأختبارى ؟

يتحسس لحيته التي تزيد من وسامته ويقول

- احيانا يكذب الإنسان حتى يحصل على شيء ذو قيمة يكون في امس الحاجة إليه

ترد مبتسما

-وما هو الشئ الذي كنت في حاجة إليه

-سماع صوتك والنظر اليك وأنت تتحدثين

أنا بالفعل قرأت له واعرف عنه الكثير ولكن اردت أن استمع إلى صوتك الذي اشعر إنى في حاجة إلى سماعة

تلمع عينيها بريق من السعادة وتريد أن تستمع للمزيد من هذه الكلمات فتحاول أن يزيد من هذا

تقول ويبدو عليها الإستحياء

- ولكن أنت تستمع له دائمًا فأنا معك في الكثير من الاوقات فهل تشتاق إليه كثيرًا هكذا ؟

- ومن لا يشتاق للماء البارد في يوم تكون به الشمس محرقه فوق الرؤوس ؟ وما من الورود والزهزر لا تشتاق لنسمات الهواء وتجعلها تتمايل وتبتسم فرحا

وسعادة ؟
أنا الآن أكثر سعادة من العصفور الذي يغرد عند الصباح
تنظر في عينيه اللذان يذبان عشقا في عينيها
- ولكن هذه أول مرة تقول لي مثل هذه الكلمات
- اعلم ذلك ولكن اعتقد إنها لن تكون الاخيرة
تقول ويبدو عليها الحزن
- هل تعتقد أن علاقتنا سيكتب لها البقاء أم سيأتى اليوم ويقول كل منا كل شيء قسمه ونصيب ؟
-القسمة والنصيب هي اكبر اكذوبة قام بها العشاق حتى تكون شماعة يلقى كل منهم عدم حسن التعامل وسوء الفهم في العلاقات عليها ، ثم إذا لم يكتب لها البقاء فحتما ستترك لنا عطرا جميلا نتذكره طيلة المساء بين الجدران ونحن نرسم بعضنا البعض وعقولنا لا تفكر إلا في مثل هذه اللحظات ولا تسمع اذاننا إلا مثل هذه الكلمات ولا ترى اعيننا إلا اعين من نحب
كانت يبدو عليها الحزن كثيرًا فأراد أن يجعلها تبسم فقال
-إحذروا من النساء فهن قادرات على فعل ما لا يستطيع فعله الشيطان
ترد ويبدو عليها التعجب
-نعم ؟!!
-إكسرا لهن ضلع اعوج يتبدل لهن أفضل منه
يبدو عليها عدم إستيعاب ما تسمع
-ماذا تقول أنت ؟
-هكذا كان يقول الرجل صاحب الصوت الصاخب الذي اشفق عليه
تضحك روجين ضحكة هادئة صافية راقت كثيرًا إلى شادي
-كان بدأ شعور الغضب يتدفق في بداخلى فيما تقول
-الصمت عند الغضب يزيد الرجال وقارا ويزيد النساء جمالا
-الغضب لابد منه لدى النساء في بلداننا
-لماذا لابد منه ؟

-في البلدان العربية المال والنساء وجهان لعمله واحدة
-ربما هذا هو الشائع ولكن سيأتى يومئ وتكون فيه الاحوال أفضل
-والآن يجب أن تعطينى ما اخذته
-وهل أنا اخذت منك شيئًا ؟
-نعم اخذت اهم شيء لدى
-أنا لم اتذكر إنى اخذت شيء يبدو إنى كنت ثملا عندما اخذت منك ذلك الشئ ولم اكن واعيا لما افعل
-الم تفكر أن تكون حقًا لم تأخذ شيء واكون أنا من اكذب ؟
-العقل التي لدى محدود في ادراكه ولذلك لا استطيع أن ادرك شيء مما قلت الآن
-وماذا ستفعل إذا ؟
-لا اعلم ما يتعين على القيام به ولكن لدى اقتراح
-ما هو ؟
- بإمكانك إعادة العطاء مرة ثانية وسأقوم أنا بإعاده إعطاء ما ستمنحينى إياه فربما حينها اتذكر ذلك الشئ الأول
-اخشى أن تأخذ شيء آخر فأصبح بلا شيء
-لا تقلقين فأنا سأمنح لك ما تعطينى له
-وماذا تريد هذه المرة ؟
-اريد قبله
تقول مندهشا
-ماذا ؟
-هي الشئ الوحيد الذي اضمن أن اعيده لك في الحال
-وإذا لم ترجعها ماذا افعل بك ؟
-
-في هذا الشأن يجب أن تطمأنى كثيرًا فأنا اجيد فن العطاء في هذا الشأن أكثر من عطاء الذاهد للحياة

***

-وبالنسبة لأحوال الشباب ماذا تراه ؟

- الشباب الآن الذي اصبح لا يفكر ولا يبتكر شيء لإنشغاله بالحياة العملية التي تنحصر في البحث عن اساسيات الحياة وهي وظيفة وسكن والزواج حتى يعيش حياة طبيعية مستقرة مثل أي انسان وهذا حق كل مواطن

(يرتشف من الكوب الذي أمامه ويقول)

مع أن تلك الأشياء الذي يبحث عنها ويضيع سنوات طويلة من حياته من أجل الحصول عليه هي في حقيقة الأمر إحدى حقوقة في هذا الوطن ولابد من توفيرها على هذه الأرض

-وهل تستطيع الحكومات لدينا تقديم ذلك للشباب لدينا وهم الفئة الكبرى ؟

-أنا لا اقول أن الحكومة تمنح ذلك للشباب على طبق من الكريستال أو من الفضة

أنا اقول أن حصول الشباب على عمل مع تطبيق حد ادنى وحد اقصى يصبح هناك نسبة وتناسب حينها سيكون الشاب قادر أن يجلب ما يريد ولكن بهذا الشكل الذي نراه أن هناك جهات تحصل على مبالغ طائلة وهناك لم توفر لهم فرص عمل أو صحة أو تعليم

هذا يجعلنى ابغض الحكام والسلطة

وابغض الإعلام الفاسد الذي يزين لهم افعالهم التي تتصف الكذب والتهويل الذي يدفعه إلى الإستمرار في فعل المزيد

ابغض كل شيء قبيح

ابغض الظالم وصمت المظلوم عن الظلم

ابغض الحياة التي اعيش بها دون أن احدث الضجيج واتسبب في إزعاج لكل احمق جاهل وديكتاتور متسلط ثم أن بلداننا ليست فقيرة كما يقول كل من يتولى الحكم علينا

هذه البلد تسرق منذ ثلاثون عاما ويسرق خيراتها ومازالت بها الكثير من الموارد القادرة على الإرتقاء بنا ، ثم أن هذه البلد ليست اقل شأنا من البلدان التي

نراها الآن تطورت واصبحت من أكثر البلدان نجاحا في العلم والصحه والصناعة مما ادى بها إلى نجاح اقتصادى أفضل مما نحن عليه بمراحل عديدة برغم أن بلداننا من أفضل من هذه البلدان في أشياء كثيرة وهذا ليس إنحيازا عن جهل أو ثرثرة رجل احمق أو هلاوس مجذوب بل أنا اتحدث عن ما اعلم وما اعلمه عن مميزات بلداننا يفوق العديد من مميزات هذه البلدان ولكن يعود الأمر في نهاية المطاف إلى الإدارة

-ما لا شك فيه أن الإدارة قادرة على نجاح الدولة أو فشلها ولكن لا ننسى أن هناك تحديات تواجهنا بشكل مستمر حتى اصبحت جزء لا يتجزأ من حياتنا اليومية والتي اصبحنا نعانى من عدم القدرة على مواجهاتها

-هذا ليس جديد علينا بل حدث من قبل ويحدث الآن ولكن يجب أن نرى ما فعلته البلدان الاخرى التي كانت لديها ما لدينا من معوقات وإستطاعت أن تنهض بنفسها فليس من العقل أن نقف مكتوفى الايدى وندعوا الإله بجوار السيارة عندما يحدث بها خلل وإلا كان الخلل في عقلى أنا

-هنا نبحث عن من يقوم بإصلاحها

-بالطبع هو كذلك وهنا دعنا نردد ما قاله ديل كارنيجى في هذا الأمر ولا ننسى إنه أحد رجال الإدارة التي له نجاح ملموس على أرض الواقع

-وماذا قال كارنيجى ؟

-قبل أن اخبرك عن ما قاله كارنيجى اريد أن اطرح سؤال من خلال الإجابة سنصل إلى ما قاله كارنيجى

كيف يتكون المجتمع ؟

-يتكون المجتمع عندما توجد إسرة

-وما هي الإسرة ؟

-الاسرة هي عبارة عن افراد

-وما هم الافراد سوى أنت وأنا والمشاهد والقارئ ؟

-لا أحد

-إذا فالإنسان الفرد جزء اساسى من المجتمع الذي يقم على وجود الفرد اليس

كذلك ؟
-نعم هو كذلك
-إذا فلابد من تنمية شخصية الإنسان نفسه وليس شيء آخر كما يفعل حكامنا هم ينظروا إلى تأسيس المنشأت والبنية التحتية والطرق ولم يدركوا أن الاصل هو الإنسان
الإستثمار في الإنسان هو أفضل إستثمار ادركه الإنسان وهذا ما قاله كارنيجى في هذا الشأن
-وماذا قال هو ؟
-قال أن تنمية الشخصية لا تحتاج إلى مال أو امكانيات أو حتى فكر معقد ، وإنما الحاجة تكمن في الإرادة الصلبة والعزيمة القوية وهذا ما علمتنا إياه تجارب الامم السابقة وقبل أن اخبرك عن ما تعلمنا من الإمم السابقه أن أفضل طريقة لمواجهة الخارج وضغوطة الصعبة تكمن في تدعيم الداخل وإصلاح الذات وإكتساب عادات جديدة ثم يأتى بعد ذلك النصر والتمكين
-إذا نحن في حاجة إلى ارادة صلبة وعزيمة قوية وإعادة النظر مرة أخرى في التجارب السابقة وايضا تجارب من حولنا حتى نكون قادرين على مواجهة الواقع الذي في حاجة إلى تدعيم وإصلاح وعادات جديدة
-وقبل أن ننتقل من هذا الأمر والخوض في شيء جديد اريد أن اقول أن ضعف الشخصية ليس لها علاقة بالصوت المنخفض أو والمشاجرة مع المخطئ على الخطأ وإلا كان العظماء جميعا ضعفاء لكونهم لم يفعلوا ذلك بل كانوا يمنحوا الفرصة مرارا وتكرار للأخرين في الخطأ ولم ينعتوهم بالجهل أو أي صفه سيئة أخرى لكونهم يعلموا إنهم في حاجة إلى الرفق بهم ولكن ما اقصده هنا هو ضعف الشخصية عند إبداء الرأى والدفاع عن الحقوق ولذلك نحن نعمل على توعية عقول الناس من خلال اعمالنا مثل ما فعل من سبقونا حتى لا يأتى اليوم التي نتواطئ فيه مع الفاسدين للفساد والظلم دون أن ندرك بما نفعل من عمل يقوم به الضعفاء الصامتين
-إذا أنت تقصد أن الضعف نتيجة الجهل والجهل نتيجة فقر والفقر نتيجة عمل

الفاسدين
-إذا نظر الإنسان لمن حوله سيجد إنه لا يصنع الطغاه سوى الضعفاء ولا يصبح الفقراء فقراء إلا بعد سرقه اموالهم من هؤلاء الطغاه
-هل تقصد أن اجتماع الفقر والضعف والخوف في المواطن قادر على أن يخلق طاغية متسلط طفيلى ؟
-الطاغية أيضًا يلام وليس فقط من يصفق له فهو استغل مكانته وقام بالإفساد على نقيض ما قام به بعض العظماء والاسماء كثيرة ولكن دعنا نذكر بعض الرموز الذين كانوا يفعلوا كل شيء يفيد اوطانهم وافراد شعوبهم مثل نيلسون منديلا والمهاتا غاندى وتوماس سنكارا وتشى غيفارا وكاستروا وماركس وبرغم قدرتهم على فعل ما أي شيء ارادوا فعلوه ولكن لم يفعلوا إلا ما كان يجلب الخير لشعوبهم ونشر العدالة وتحقيق المساواه بين الجميع
-بعد قولك هذا اشعر أن الشباب يتحطم بين المطرقة والسندال بعد ما كنت ارى الشباب ياقاعص عن العمل ويريد النجاح دون عمل شيء
-اعتقد إنه ليس من العدل أن انعت شخص بالكسل أو التقاعص عن العمل في عدم توفير فرص عمل له ولذا يجب أن اقول أن الشباب لا يعمل أو لا يجتهد أو حتى إنه يريد النجاح دون جهد وهو لا يجد الفرصة التي تؤهله لذلك
-تقصد من يد العون لهم ؟
-إذا لم يكن هناك شيء يدعو للأمل في الغد فلم يعد له أحد من اليوم
-الم يكن عدم المبادرة من الشباب هو السبب وراء عدم نجاحهم وتحقيق رغباتهم ؟
-لا توجد نفس بشرية تدعوا صاحبها للتقدم للإمام دون وجود تشجيع لها ثم كيف يبادر الإنسان في عدم وجود اهداف له في الحياة ؟
-هذا ما اتحدث عنه لا يوجد اهداف لدى الشباب وهذا سبب كاف جدًا لكي يجعلهم هكذا دون نجاح
-عدم وجود اهداف للإنسان في الحياة له عدة اسباب ومنها إما أن يكون ليس لديه رؤية واضحة يسعى إليها وهذه الفئة العظمى من الناس وهناك سبب

آخر لا يدعو لتحقيق الاهداف الموضوعه وهي عدم وجود محفزات
-وما هي رؤيتك أنت عن هذه الفئة من الشباب بمختلف افكارهم ؟
يزفر في يأس
- ارى الشاب مغضوب عليهم
مغضوب عليهم اشد انواع الغضب
وهذا الغضب ليس من الإله
فقد تعلمنا منذ الصغر أن الإله ارحم على الإنسان من رحمة الأم بارضيع
الشباب المسكين المكافح مغضوب عليهم وافعالهم أيضًا مبغوضه اكتر من بغض قابيل لأخيه هابيل
(ثم يبتسم ويقول)
ارى في عينيك بعض الأسئلة التي تطرح نفسها وأنت لم تنجح في إخفاءة
(ثم يقول مازحا)
يبدو إنك في حاجة إلى إعادة تأهيل حتى تكون مذيعة جيدًا تستطيع أن تخفى ما بداخلها حتى لا تسقطين في يد الضيف
تبتسم وتقول بعفوية
-يبدو كذلك !!!
يقول مبتسما في هدوء
-أنا امزح معك
أنت من الذين يروق لي الحديث معهم ولذلك أنا لا اقبل الحضور في برامج أخرى برغم كثرة الدعوات وأنت تعلمين هذا جيدًا
تبتسم له معجبا بلباقة حديثه
-ولكن دعنى احصل قبل كل شيء عن إجابة لهذه الأسئلة التي رأيتها في عينى التي لم تنجح بعد في إخفائها
- تريدين أن تعلمى كيف الشباب مغضوب عليهم
ومن هو الذي غاضب عليهم إذا كان الغضب ليس من الإله
وهل هذا الإنسان الغاضب يستطيع فعل ما قام به قابيل مع هابيل أم لا

تبتسم مادلين وتقول
- دائمًا حضرتك تفهم ما اريد طرحه اثناء الحوار
-الذي يريد عمل هذا هو الشيطان
في تعجب
- الشيطان ؟!!
كيف ؟؟
- الشيطان الذي لدينا لا يريد لهم العيش
الشيطان الذي لدينا يريد من الشباب العيش بدون عقل
بدون تفكير
بدون إدراك شيء بإستثناء ما يريده هو منهم أن يدركوه
يبدو عليها عدم الفهم
-ولكن حضرتك إنسان بتميل إلى المادية ولا تتحدث كثيرًا عن ما هو مضاد للمادة وهذا ما توضحه في مؤلفاتك بشكل واضح ومستمر
ودائما تقول أن كل الاخطاء التي تحدث تعود إلى المسبب الأول في حدوثها وهو الإنسان لإنه هو الكائن الذي يستطيع أن ينحرف عن المسار الطبيعى وبإمكانه القيام بالخير والشر كما يمكنه فعل أي شيء يروق له ومن ثم النتيجة مترتبة على العمل والعمل يعود للإنسان
اليس هذا تناقض بين مؤلفاتك وحديثك أم هناك شيء لم افهم بعد
-الإنسان لا يقف دائمًا عند شيء واحد ودائما تفكيرة يتطور بشكل مستمر ، والشيطان الذي اقصده هنا في حديثى ليس الشيطان الذي يعرفه عامة الناس
الشيطان الذي اقصده لا يعلمه إلا القليل وهم
المثقفون والمفكرون والفلاسفة وكل إنسان يحسن التفكير
- إذا ما هو هذا الشيطان هذا التي تتحدث عنه ؟
- الشيطان الذي اتحدث عنه هو الإنسان
الإنسان هو الكائن القادر على القيام بكل ما هو شر وفى نفس الوقت قادر على فعل كل ما هو خير

الإنسان هو صاحب القدرة في الفعل وعدم الفعل
الإنسان هو الحاكم
هو المسؤول
هو كل مسؤول لديه منصب ويتواطئ مع الفساد من أجل الحفاظ على مكانته ويجب أن تعلم جيدًا أن الشيطان الذي يعرفه جميع الناس والذي خلق من نار هو اضعف بكثير من هؤلاء الشياطين الذين خلقوا من طين وسجدوا لأدم وكانوا ظاهريا من المؤمنين
وأنا ارى الشيطان كان صادق عنهم
نعم كان صادق عنهم و صادق مع النفس عندما اعلن الرفض التام للسجود اما هؤلاء فهم ظاهريا بشر شياطين من الداخل وهذا اسوء من الشيطان وذريته حتى اعتقد إنهم يفعلون ما يخشى الشيطان في التفكير به في اوقات الفراغ
يبدو عليها القلق
-حضرتك تقصد أن الحكام ومن حوله من المسؤولين هم الشياطين والحمقى والفاشلون ؟
في هدوء
-الحاكم هو الشيطان الاكبر في هذ الواقع الذي نعيش فيه إذا كان فاسد
تبتلع ريقها ويبدو عليها القلق وتقول
-نحن على الهواء ومن السهل أن نجد انفسنا في طرفة عين خلف القطبان إذا كانت هناك أي مساس بالسيادة
يبتسم ابتسامة حزينه
-وأنا اقصد المسؤولين بحديثى هذا وإذا كانت لدينا حريات حقًا وديمقراطية ما كنت شعرت بالخوف لمجرد إبداء الرأى
أنا اعلم أن حديثى اليوم سيجعل الكثير يغضب منه ولكن أنا متعمد هذا
أنا اقصد بحديثى هذا اللصوص والنصابين الذين يأكلون حقوق الغلابة والمساكين
وبشكل اوضح اقصد الطفيلين الذي حرموا الطفل من رؤية والده الذي مات

بطلقات نارية سكنت صدورهم نتيجة تهاون من الامن ومن الحاكم
هذه البلد منذ اربعون عاما لم تكن هكذا بل كانت شيء آخر تماما
كان الراجل لا يحمل لقب الرجوله فقط بل يحمل صفاتها أيضًا
كانت الفتاة بمائة رجل من الذين نراهم يتسكعون في الطرقات وهم يتشدقون بالعلكه مثل المومسات
كانت الفتاة مثقفة ومتعلمه
كانت لديها حرية التعبير
حرية الرأى
كان لا يستطيع أن يتاجر بها والدها لرجل اكبر منه سنا لمجرد ماله أو مركزه الإجتماعى والسياسى
وكان الشاب راجل وسند لنفسه ولوالده ولبلده ووطنه
كان يحترم المرأة
كان يعلم جيدًا حقوق البلد عليه وكان يعلم الواجبات التي يجب أن يقوم بها
كان يعلم جيدًا انه لابد من التعب في بداية حياته وكان لا يعتمد على أحد حتى ولو كان والده
كان الشاب يتعلم ويدرس ويثقف نفسه بنفسه بدون مساعدة من الغير أو انتظار يد تمد له
كان الطالب عندما يتناقش مع الدكتور في الجامعة في شيء ما كان يقف احتراما وتقديرا لمعلمه
كان يعلم جيدًا إنه قيمة علمية لكونه لم يحصل على هذه المكانه بالوساطة والمحسوبية مثل ما يحدث الآن
كان يعلم الشاب إذا اجتهد حصل على ما يريد
اما الآن
فالشاب يحصل على ما يريد بدون ادنى تعب أو جهد
ثم لماذا يتعب وهناك مستقبل باهر ينتظره على حساب شخص مجتهد تعب كثيرًا حتى يصل إلى ما يريد ولكن اتى من لديه نفوذ وحصل على حلم شخص

مجتهد بدون ادنى مجهود ؟
هل تعلم إذا كنت شاهدت حوار بين الطالب الجامعى والدكتور كنت لا تستطيعى التفرقة بين الإثنين ؟
-كيف هذا ؟

-يعود هذا إلى عدة أشياء
أول شيء يعود إلى التوافق الفكرى والثقافى التي يجعل الطالب مؤهل للحديث بطريقة اكاديمية واسلوب مثقف ومصطلحات تناسب طالب جامعى وليس اسلوب ديلر ممن يقفون على نواصى الشوارع والطرقات مثل الخارجين عن القانون في شوارع شيكاغو
وليس هذا فقط بل كان الشباب على علم بالعلوم التي تجعلهم قادرين على الحديث بمنتهى القوة وهذا ليس موجود الآن إلا ما رحم ربى ، فالطالب الآن عندما يتحدث لا يستطيع أحد أن يفرق بين حديثه وبين حديث من لم يتعلم شيء على الإطلاق ، وهذا يعود إلى التدنى في التعليم وسوء التربية وعدم غرس المبادئ والقيم وتوثيقها بالعمل ، وكان الطالب يرتدى ما يتناسب مع مكانته في الجامعة اما الآن فالأمر تبدل تماما واصبح العادات والتقاليد اصبحت ليس لها وجود
أنا لست هنا لأدعوا إلى الاخلاق ولكن ما اراه يحدث هو اهتمام بالمظاهر فقط أنا قمت بإلقاء محاضرات في العديد من البلدان ولم ارى ما اراه هنا عندما اتوجه إلى جامعة وارى الشباب يبدو في غير هيئته وايضا الطالبه تبدو في هيئة غير التي يجب أن تكون عليها
-الشباب لدينا اتخذ من الغرب المظهر الخارجى فقط واكتفى به وترك ادوات التفكير التي تؤهل للنجاح
-في اغلب الجامعات الأوربية التي قبلت الدعوة لإلقاء محاضرة بها كنت ارى شيء مهم جدًا
في اهتمام

-وما هي ؟
-تقارب الاعمار ما بين المعلم والطالب
وهذا له مدلول قوى وهو إنه بإستمرار يخرج كوادر ذو كفاءات تنضم لهيئة التدريس
لديهم رغبه في العلم وهذا ما كان موجود لدينا في الماضى مثل ما ذكرت لك من قبل
الطالب كان يجتهد في دراسة الماجستير والدكتوراه مما يجعله من اعضاء هيئة التدريس وهو ما زال عمره في سن الشباب اما الآن فالدكتور صاحب الخمسون من العمر الآن يمارس مع طالب الدراسات العليا اشد انواع العذاب حتى يعرقل الحياة أمامه
-هناك الكثير من الشباب يتقاعس عن اخذ زمام الامور بجديه وهذا كفيل أن يتسبب في هذا الأمر
-هل تعلمى إذا قاموا بإلغاء الخانة الخاصة بالنوع في الهوية ستواجهنا مشكلة كبيرة ؟
نعم ستواجهنا مشكلة
دعينا نتحدث بكل جدية دون أن نتلون أو نستحى
الكثير من الشباب
وأنا اكرر واقول الكثير من الشباب وليس كل الشباب فأنا لا انتمى لمن يقوموا بالتعميم ولكن نعود إلى المقصد من التوضيح
يبدو لي الشباب وكأنهم لا يعيشون في الشكل الذي خلقوا عليه
أنا في الكثير من الأحيان عندما اتحدث مع شاب من الشباب احتاج إلى القيام بكشف عن ال حتى اعرف مع من اتحدث فأنا لا استطبع التحدث من إنسان لا اعرف نوع جنسه
لا اعلم هل المعنى وصل أم لا ولكنى لم اجد تعبير يوضح ما اريد قوله سوى التعبير بما وضع له ولكن يبدو لي صعبا جدًا أن اقوله هنا واعتقد أن المعنى وصل للجميع الآن

-نحن نعلم جيدًا أن حضرتك دائمًا بتناضل من أجل حصول الشباب على حقوقهم التي سرقت على حد كلام حضرتك في المقال الاخير الذي كتبته أول امس والذي تسبب في إزعاج لبعض الجهات حتى صدر أمر بوقفك عن الكتابة
-ارى أن البلد لا تحترم العقول ثم ما قلته ليس بجديد أو به شيء إفتراء على حكامنا أو حكوماتنا وهذا نص ما قلته في المقال
(ثم اخرج من بين الاوراق التي معه ورقة بها نص ما قال)
في ظل وجود الشباب وهو الفئة العظمة من ابناء هذه البلد نجد هناك من العواجيز يحتلون المناصب ويسرقون الحقوق ولا يهتمون برغبات الشباب ومن ثم نفقد إرادة حديدة وعزيمة فلازية بروح شبابية حتى يتنعم رجال بلغوا من الكبر عتيا ، ثم يخرجوا علينا في لقاءات تلفزيونية ليتحدثوا ويقوا أن الشباب لا يعمل ولا نستفيد من طاقتهم وقدراتهم الشبابية بسبب تكاسلهم ورغباتهم في العيش بدون رؤية أو هدف واضح في الحياة
واكثر ما يجعلنى اغضب هو سؤالهم لماذا نحن مازلنا في القاع ؟
لماذا نحن لا نتقدم ؟
لماذ نحن لا نرتقى ؟
وأنا اجيب على هؤلاء الحمقى واقول لهم انتم السبب ايها العواجيز
انتم السبب يا من يجب عليكم الإقامة في دار المسنين
نحن دولة قائمة على الخزلان
نعم الخزلان
عندما نجد الشباب لا يجد فرصة عمل فهذا خزلان
عندما لا يجد منزل بسيط للزواج فهذا خزلان
عندما نجد من لديه خمسون أو سبعون عاما ما زال لديه منصب وسلطة ومدير ورئيس مجلس إدارة والشباب ما زال جالس على القهوة فهذا خزلان
عندما نجد ابو خمسين في المية في الثناوية بيحكم الدكتور والمهندس فهذا لا شيء آخر سوى إنه خزلان
عندما نجد رجل في زى ميرى يخرج سلاحة ويصوب به على عقول الرجال

والنساء لمجرد التمرد فهذا خزلان
(ثم سترد قائلًا في تنهيده)
هذا ما قلته في المقال الاخير التي تسبب في الإزعاج لمن يخشون من القلم
(يمسك القلم ويرفعه قليلًا ويقول)
القلم هو الشئ الذي يقلق الظالم ويخيف منه الجاهل
إذا لم يتوقفوا هؤلاء فلا تراجع
-هل هؤلاء هم رجال السياسة أم فئة أخرى ؟
-هم التي تمنحهم مناصبهم الحق في القتل والتعذيب
هم من يفعلون كل ما يجعلهم يعيشون في سلام وامان دون أن يحاسبهم أحد
هم من يعتقدون انهم آله الأرض وملائكة السماء ورجال الخير
هم من يبسطون ايديهم بكأس من السم ويخبرونك إنه علاج فعال من مرض الإكتئاب
هم من يسرقون زهرة شباب الشباب من الشباب بإدراك الشباب
-حضرتك تقصد ال
مقاطعا حديثها
-نعم هم
الذين يعتقدون أن الحياة خالدة لهم ولأولادهم ولأحفادهم واحفاد احفادهم
يبدو الإرتباك على وجه مادلين ليتدخل المخرج وينقذ الموقف ويقول هامسا لها فاصل يا إستاذه
معانا فاصل ونعود اليكم
انتظرونا

***

يجلس العقيد شهاب على المكتب وفى يده اليسرى سيجارة وامامه على المكتب عدة اوراق ينظر فيها وبجواره كوب من الشاى
يطرق حاتم الباب على العقيد شهاب
-تمام سيادتك يا فندم المسجون استوى وفى إنتظار أمر معاليك

يضع السيجاره بين شفتيه ويحصل منها على جرعة زائدة من السموم ثم يطفأ السيجارة في المرمدة البنية ويرتشف ما تبقى من الشاى في الكوب الزجاجى ويقول

-احضره

يخرج حاتم ويعود مرة ثانية ومعه زميله الذي يحمل ادهم من إحدى ذراعية لعدم قدرت ادهم على الوقوف بمفرده فقد اصبحت قدميه لا تستطيع أن تحمل جسده من كسرة ما تلقى من ضرب وتعذيب بوسائل متعددة لا تعرف الرحمة ولا تخضع للإنسانية

ابتسم شهاب ابتسامة مليئة بالثقة عندما رأى ادهم عاجز وفاقد القوة التي تجعله يرفع رأسه إلى الاعلى مثل ما كان يفعل منذ قليل ، حينها اعتقد شهاب إنه استطاع أن يلقنه درسا لم تنساه ذاكرته يومئ كما اعتقد أن جنوده اخلصوا في العمل على الوجة الاكمل

يقول شهاب ساخرا

-يجب أن تكون اقوى من ذلك

نحن لم نتجاوزالمرحلة الاولى بعد

(ينظر إلى الجنود قائلًا)

عندما يأتى الينا مذنبون بعد ذلك لابد أن يحصلوا على تشريفة تليق بهم قبل أن تسقط عينى علي رؤيتهم حتى لا يتجرد أحد من العقل ويخطأ كما اخطأت العروسة

(ومشيرا بالسبابة إلى ادهم)

ثم يتوجه إلى ادهم مرة ثانية

-يبدو عليك الآن إنك اصبحت أفضل مما كنت عليه من قبل

لم كان يبدو على ادهم التعب الشديد فقط الذي ادى به إلى عدم القدرة على الوقوف بل كان التعب جعله فاقد القدرة على الكلام أيضًا

كان يتنفس بصعوبة بالغة حتى شعر شهاب إنه يتنفس بجوار إحدى إذنية من صوت الشهيق والزفير التي كان يقوم به ادهم حتى يحصل على فرصة أخرى

للحياة
يرفع ادهم عينيه إلى العقيد شهاب ويحاول الحديث بصعوبة ولكن تخرج الكلمات منه على مراحل متقطعة بين كل كلمة والثانية مشوار طويل في حاجة إلى صبر كبير
-إذا كنت تعتقد أن هؤلاء المخلصين لك يستطيعوا القيام بما يجعلنى اتراجع عن ما اراه صوابا فأحب أن اخبرك إنك مخطأ
حقًا مخطأ
يرفع حاتم يده حتى يصفع ادهم ضربة عنيفة ليتدخل شهاب قائلًا له على الفور قائلًا
-لا تفعل ذلك
ثم ينظر شهاب إلى ادهم وهو يبتسم ويقول
-أنا أحب هذا النوع من التحدى
اتلذذ عندما اجد إنسان يرى نفسه قادر على الوقوف امامى حينها اشعر بذاتى كما اشعر إنه يجب على إستعمال ما لدى من مهارات لم استخدمها منذ العديد لعدم وجود احدا فعل من قبل ما قمت أنت بفعله ايها الجرئ
تنازل علبة السجائر واخرج سيجارة واشعلها حتى اصبح دخان سيجارته أمام وجهة بكثافة ثم يقول له في سعادة والبهجة تبدو على وجهة
-يبدو أن الاستقبال لم يكن بالكفاءة التي تجعلك تحسن حديثك
وأنا يروق لي هذا النوع من الرجال
ولكن اريد أن اطرح عليك سؤال واتمنى أن احصل على الإجابة التي اتمناها هل أنت حقًا لديك القدرة على أن تكمل معى في الطريق أم ستتراجع في غصون عدة دقائق ؟
كان ما زال يعانى من عدم القدرة على الحديث ولكنه استطاع بعد صراع
-
يقول وهو ما زال غير قادر على القول
الكلام لدى ليس مجرد كلام

الكلام إلتزام
حينها ضحك شهاب ضحكة لم يضحك مثلها من قبل
ضحكة عالية لم يراها أحد من هؤلاء الجنود الذين يقفوا أمامه حتى إبتسموا إرضاءا له
كانت ضحكة تنم عن البهجة والمغامرة التي سيخوضها ذلك الرجل دون أن يعلم ما بحوزت شهاب من طرق تعذيبية لم يخرجها من قبل
-اين أنت يا رجل ؟
اين أنت ؟
كنت انتظر قدومك منذ العديد من السنوات
لدى العديد من الأشياء التي قمت بدراستها ولم اجد من يتحملها حتى ظننت إني سأموت قبل أن اجد من يمنحنى الفرصة في فعلها ولكن لا تقلق
لا تقلق على الإطلاق
سنقوم بعمل ما يمكن القيام به
فأنت اصبحت عزيز علينا جميعا ولابد من الترحيب بك كما ينبغى ، ولكن رجاء
اريد منك أن تستمر في مسيرة الرجل حتى النهاية ولا تكون جنس آخر
يضع شهاب إحدى يديه على جانبه الايسر من كثرة الآلم الذي يشعر به ويبدو عليه التألم
-لا تقلق فهناك عزيمة قوية وإرادة حديدية
يبتسم شهاب في سعادة
-تعجبنى هذه الجراءة التي تقودك إلى الهلاك ايها الرجل الذي تعتقد إنك قادر على تغيير العالم ولكن اشعر بالخوف
-هل الخوف بدأ في مراوده عقلك من الآن ؟
-لا تسئ الفهم يا رجل بل أنا اخشى من شيء آخر
-وما هو الشئ الذي تخشى منه ؟
-اخشى أن تتراجع سريعا مما سيؤدى بى الشعور بالحزن فأنا لا أحب موجهة

رجل لا يرغب في التحدى
-الأمر مدهشا بالنسبة لي فهذا مبدأ رجال يعقلون ولم يبدو لي رجلا عاقل هنا
-هل لديك شيء آخر من الإهانه حتى اقوم بإضافتها على الفاتورة ؟
-نعم اريد اضافة شيء بسيط حتى أبدًا بدفع الحساب جملة واحدة
-اخرنى عن كل ما تريد فكلما ذاد القول كلما تحقق المراد
-اريد رجال لديهم إخلاص في العمل وصبر لا ينفذ وإرادة لا تعرف الملل
-لا تقلق فهنا الرجال قادرون على العطاء المستمر بدون توقف أو الشعور بالملل أو حتى الارهاق
ستشعر بالعطاء بكل انواعه وبمختلف احجامه
هل تعلم ماذا سأجعل هؤلاء الرجال يفعلوا بك ؟
دعنى اعطيك تلميحات حتى لا تتفاجئ عندما اخبرك
(يضع السيجابة بين شفتيه وهو ينظر إليه ويبدو عليه التفكير ثم يذفر دخان سيجارته بقوة ويسترد قائلًا)
الجنود التي لدينا جميعا في اعمار الشباب وأنت تعلم جيدًا أن الشباب في بلداننا يشعر برغبة عارفه في ممارسة حياتهم الطبيعية وبما إنهم هنا وأنت تعلم أيضًا أن ليس لدينا نساء هنا فهم يشعروا بالإشتياق ولكن بعد اليوم لن يكون هناك رغبة في الإشتياق
(يصمت قليلًا)
هل تعلم لماذا ؟
كان ينظر ادهم إليه في غضب
-سأجعلهم يفعلوا بك مثل ما يفعل الرجل مع العاهرة
كان يحاول أن يبدو قويا متماسكا في تلك اللحظة التي لم يعتقد أحد انه يستطيع التغلب عليها ولكنه قام بالتقمص إنه على ما يرام وانطلق لسانه يتحدث بقوة ولكن لم يستطيع التفوة بكلمة واحدة فالجسد محطم والقلب ملئ بالألم والعينين في الحزن مستغرقة والعقل شارد في اللاشئ
-لا اسمح لك أن تذكر لقب الرجل بجوار العاهرة فالرجل لا يعرف عن العاهرات

شيئًا بل من يعرفهن هو حيوانات وليس رجال
ثم أي نوع أنت تقصد بقولك للعاهرة ؟
يضحك شهاب ساخرا
-أنت لا تعرف العاهرات ؟
-يبدو أن العقل لديك متوقف عن المهام ؟
كان الجنود تحمل ادهم بين ايديهم ويبدو الغضب في اعينهم ينتظرون إشارة من العقيد شهاب حتى يبدأ بفعل ما يجعل ادهم يتراجع عن ما هو فيه من إصرار ولكن كل منهم لم يستطيع أن يفعل شيئًا دون أن يأذن له قائدهم
كان يشعر شهاب حينها بغليان في الدم وتزايد في نبضات القلب وارتفاع ضغط الدم ومستويات الادرينالين والنور ادرينالين نتيجة الغضب الذي كان يتمكن منه في داخله ولكن كان قادر على أن يبدو هادئا أمامه حتى لا يشعره إنه استطاع أن يؤثر عليه أو ربما استطاع ارد أن يجعل اخطاءه تزداد حتى يعاقبة عقاب يليق بحجم اخطاءه تلك الاخطاء التي تفوه بها ومازال ينطق بأسوء منها
-ثم ماذا بعد ؟
-أنا لم اقول لك ما هي العاهرة ولكن قلت لك أي نوع من العاهرات تقصد السؤال كان واضح وصريح ومختصر ولكن أنت التي لا تحسن في الإنصات كما لا تحسن فن القول كما لا تحسن فعل شيء سوى إستغلال ذلك الكرسى فيما يجعلك تشعر بالراحة والسكينة والرضا عن الذات على حساب راحة الاخرون
-دعنا من ذلك الكرسى فأنت لا تعرف قيمته ودعنا أيضًا من عدم الثرثرة واخبرنى هل هناك انواع حقًا للعاهرات ؟
-نعم يوجد
يبتسم ويقول ساخرا
-يبدو إنك ذئب كبير لديك العديد من العلاقات لم تعد ولا تحصى مع العاهرات حتى استطعت أن تصنف كل منهما
(يصمت قليلًا ويضع السيجارة بين شفتيه وهو ينظر إليه نظرة إعجاب ويقول له)

إذا لم يكن لك ملف في الاداب ستكون حقًا رجل تجيد حسن التصرف
-أنا لست حيوان حتى استغل إحتياجات المادية للمرأة واتمتع بجسدها فهذه ليست مبادئ واخلاقى
يقول ساخرا
-إحتياجاتها المادية ؟
كلهن عاهرات ايها المحلل الإجتماعى
-هذا منظور ضيق يقتصر على اصحاب الفكر المحدود امثال سيادتكم
يقول مندهشا
-وهل هناك ابعاد أخرى لتحليل ذلك ؟!!
-اكيد هناك ابعاد أخرى ولكن اعينكم هذه لا ترى إلا ما تحب أن تراه من الجهة التي تريد أن تنظر من خلالها للأشياء ولا تدرك عقولكم هذه إلا ما تريد هي أن تدركه
وأنا لا انفى أن هناك نساء عاهرات تفعل ذلك من أجل المتعه بل يوجد وسأقول لك من هن حتى تمنح لي الفرصة في الحديث عن ذكر الفئات الاولى ثم ذكر هذه الفئة في الاخر حتى لا تشعر بالغضب مما سأقوله
يبتسم ساخرا
-أنت تجعلنى أنا اشعر بالغضب ؟!!
يبدو إنك لا تعرف من هو العقيد شهاب
(يقول في بصوت مرتفع ونبرة غاضبة وعينين محدقتين وهو يضرب بكلتا يديه على المكتب في قوة)
العقيد شهاب عندما يذكر إسمه تهتز الأرض من تحت اقدام الجميع
-أنا لا اعلم هل أنت تتحدث عن اسمك أم عن زلزال مائة ريختر
-أنت تجعلنى سعيد بكل كلمه تتفوه بها
تجعلنى اشعر إنى سأتبع معك كل ما لدى ولكن لكي اتبع معك هذافلابد من إكتمال الأمر حتى اشعر بالرضا وأنا افعل
يقول ساخرا

-يبدو على وجهك أن قلبك ملئ بالإيمان
-متى ستنعم على وتخبرنى عن كم نوع من انواع العاهرات ؟
-الآن حتى لا اضيع وقتك الثمين
-وماذا تنتظر
-اريد أن اجلس
-هل تشعر بالتعب ؟
-لا ولكن هناك تفاصيل دقيقة لا أحب أن اتركها
-وما علاقة التفاصيل بالجلوس ؟
-مثل علاقة السيجارة بالفنجان
ينظر إليه شهاب وهو صامت ثم يقول له
-اجلس مكانك
-على الأرض ؟
-حتى تشعر بقيمة ذاتك جيدًا
ذاتك التي لا ارى منها شيء سوى حديث
حديث فقط
-لا بأس من الجلوس على الأرض فأنا لا أحب أن اجلس على مكان جلست عليه
حتى لا اشعر بشئ من الشعور التي لديك
يجلس ادهم مكان قدميه
-هل بإمكانى أن اطلب شيء ؟
-ستكون كارثه إذا كنت تريد أن تحتسى فنجان من القهوة ؟
-لم أحب الجلوس في مكان جلست عليه فكيف اطلب إحتساء قهوة في كوب
ارتشفت منه ؟
في صبر نافد
-ماذا تريد؟
-اريد أن يخرج الجنود خارج المكتب
-لماذا ؟

-الأمر التي سنتحدث به يحتاج إلى رجال بيستطيعوا التحكم في النفس وأنا لا اثق في هؤلاء فهم يشعرون بالتعب على حد قولك
-وجهة نظر صحيحة
-اليس كذلك ؟
-فعلا
يضحك شهاب وهو ويشير بإحدى يديه للجنود أن يخرجوا وقال لهم
-اغلقوا الباب
-هل لديك رغبات أخرى ؟
-باقى أن تسمتع لي
-وأنا استمع إليك
كان العقيد شهاب لم يفعل ذلك من أجل أن يزيد من عذابه كما كان يقول له ولكن كان يفعل ذلك من أجل رغبة في الإستماع لذلك الرجل الذي يتحدث بكلمات لم يستطيع أحد قولها من قبل
-أنا اراى أن هناك ثلاث أشياء تجعل النساء اللواتى تفعلن ذلك يمارسهن العهر الفئة الاولى هي الفئة الفقيرة التي تفعل ذلك نتيجة الحصول على المال حتى تستطيع العيش هي ومن معها من الإخوة أو الاخوات أو لكي تجلب دواء غالى الثمن لا تستطيع أن تحصل على ثمنه إذا قامت بالعمل بطريق شريفه
ثم لا اعتقد أن هناك سيده كانت أو فتاة تعمل في مكان وإلا كان صاحب العمل ينظر إليها نظرات شهوانية ثم يبدأ في القيام بإحدى الخطط التي لديه حتى يحصل منها على ما يريد ونحن نعلم هذا جيدًا نتيجة كبت جنسى لدينا ولا تعتقد إنها تفعل ذلك وهي سعيده بل هي تموت مع كل حيوان يقترب منها ولكن النساء لديهن قلب اكبر مما تتخيل وعاطفة جياشة لا تستطيع احدا منهن أن ترى شخص تحبه وتتركه يتألم من المرض أو من الجوع سواء كان شقيقها أو شقيتها أو والدها ووالدتها فهي اهون عليها أن تموت ولا يموت من تحب
يشعل العقيد شهاب سيجارة فور إنتهاء السيجارة التي كانت بيده والتي انتهى بها المطاف بجوار من ستقتها

-لم اكن اعلم أن هناك من يستطيع أن يجعل القبيح جميل هكذا ايها الفيلسوف الذي تجيد فن الْإقناع
-قبل أن اذهب إلى الفئة الثانية يجب أن اخبرك شيء مهم جدًا متعلق بالفئة الاولى
-اخبرنى
-اريد أن اخبرك عن من هو السبب فيما وراء قيام النساء بتلك الافعال
-من ؟
-أنت
في اندهاش
-أنا ؟
-نعم أنت
كل إنسان سرق هو السبب
كل إنسان حصل على أكثر من حقه هو السبب وراء جوع الاخر
كل إنسان صاحب سلطة ورأى الظلم ولم يتخذ موقف هو من فعل ذلك
كان الحديث لا يروق للعقيد شهاب الذي شعر بإهانه بالغة في ذلك الإتهام مما دفعه لقول
-والفئة الثانية ؟
-الفئة الثانية تفعل ذلك نتيجة ضغط عليهن من السلطة العليا
مثلا كل منا لديه نقطاط ضعف فهذه طبيعة بشرية لا خلاف عليها وهناك نساء ليس لديهن مال ومن ثم يصبح المال نقطة ضعفهن ولم تحتاج أحد منهن شراء أفضل السيارات أو اجمل الفساتين ولكن تريد أن تحصل على حياة كريمة مستقرة وهنا يبدأ الضعف والتنازل
سيده تعمل في مكان لم يتركها المدير كما اخبرتك من قبل وسريعا ما يبدأ بالتلاعب بها مؤثرا عليها من خلال مصدر دخلها أو رجل مسؤول مثل سيادتك يراها فتروق له فيحاول أن يحصل عليها بلطف فلم تمنح له شيئًا من الاهتمام فيطلب منها هذا بكل فجاجة وإن لم تفعل فهو من سيفعل بها ما يجعلها

تذهب إليه وتقبل يده وتعرض عليه ما يريده حتى يقدم لها المساعدة من الخديعة التي قام بها لها وهذا بالطبع سهل القيام به في مثل هذه البلد التي لا قيمه لأفرادها في وجود اسيادها امثالكم
لم يكن أيضًا الحديث في هذا الأمر يروق للعقيد شهاب فقد شعر إنه أمر لا يستطيع تحمله أكثر من ذلك فقال ويبدو عليه الغضب
-والفئة الثالثة ؟
-قبل أن اخبرك عن الفئة الثالثة اريد أن اخبرك عن من هو السبب في من جعلهن يفعلن ذلك
في صبر نتفد
-من ؟
-أنت وامثالك الذين يستغلون مناصبهم ويسخروها لتلبية رغباتهم الحيوانية ولذلك عقابهم الزمن في الحياة بما فعلوا وهذه الفئة الثالثة
كان ادهم يرى غضب شديد في عين العقيد شهاب ولذلك استرد سريعا قائلًا
-الفئة الثالثة هي حقًا الفئة التي تفعل ذلك من أجل المتعه
واعتقد أن هذه الفئة لديها كل ما تحتاج إليه أي فتاة واى سيده على الوجه العام ولكنهن يفعلن ذلك رغبة في المتعه بعد ما مات إحساس ازواجهن من كثرة انشغالهم وإبتلاهم بمرض خبيث اسمه حب مناصبهم والسلطة التي يفعلوا كل شيء لكي يضمنوا البقاء لها حتى ولو كان الشئ هذا هو إرسال زوجاتهم إلى من اعلى منهم حتى تجعله يشعر بالمتعة ليحصل زوجها على مكانه اعلى أو حتى لكي يحافظ على الكرسى الذي تجلس عليه ولكن زوجاتهن تبدو ظاهريا إنهن كارهون لذلك وانهن تغعلن ذلك من أجل ازواجم ولكن في داخل كل منهن سعاده لا تضاهيها أي سعادة لحصولها على تغيير من الملل التي تعيش به من اشباه رجال
ينهض غاضبا وبصوت مرتفع يقول
-دا أنا هطلع دين (لفظ خارج)
في هدوء وبمنتهى السكينه

-يبدو أن الزلزال اتى ولكن لم تهتز الأرض من تحت الاقدام كما قال سيادتكم ، حتى شعر رأسى لم يتحرك فيه شيئًا فأين ما كنت تزعم منذ قليل

يقول شهاب في غضب

-يا حاتم

يا حيوان ياللى بره

كان ادهم يرد في هدوء وكأن لا شيء يحدث

-ولكن لم تخبرنى أنت كم مرة ارسلت زوجتك ؟

يقول في غضب شديد

-أنا من سأقوم بإرسالك الآن يا إبن العاهرة وسأجعلك الادب التي لم تعلمه لك امك العاهرة حتى تتعلم كيف تتحدث مع الاسياد

-أنا لا اعلم كيف يأتى حيوان مثلك بهذه الحماقة التي تجعله يسئ لمناضله تقاتل من أجل عرضها وبقاء ارضها بخادم مثلك يقدم فروض الطاعة والولاء لمن ينكح بلاده وافكاره وزوجته من اسياده

***

يجلس خالد داخل اسوار الجامعة التي التحق بها منذ شهر واحد وكان جالس يحتسى فنجان من القهوة وفى يده الاخرى قلم يرسم به على ورقة بيضاء أشياء لا يعرف عنها شيئًا وكأنه يفكر في شيء ولا يبالى لما يفعله على سطح الورقة من رسومات حتى اتت إليه زميلته (رانيا) وجلست بجواره

-ذهبت إلى المكتبة ولم ارك هناك فتعجبت لهذا فأنت دائمًا تجلس فيها عندما لا يكون هناك محاضرات

ينظر خالد إليها في صمت ويطيل النظر حتى قالت رانيا له

-ماذا بك يا خالد ؟

يرد خالد شاردا ويبدو في عينية عمق شديد

-لا اعلم

-اخبرنى عن شعورك بماذا تشعر ؟

-هناك شيء غريب يحدث لي

-ما هو ؟
-لا اعلم ماذا يحدث لي فأنا منذ يومين وأنا ارى حلم يتكرر بنفس النمط لا يتغير منه شيء
في اهتمام وتركيز
-وماذا رأيت ؟
كان يبدو في عينيه إنه ينظر إلى شيء بعيد غير قادرة على رؤيته بالعين المجردة
-رأيت بحر ذو اموج غاضبة
وعاصفة لا تستجيب للرغبات
وظلام دامس اشد ظلمة من الظلام الذي يسبق نور الفجر
حاولت اضئ مصباح ولكن الفشل لاحق بى في كل مكان
اردت أن اشعل شمعة حتى تضيئ الطريق الكاحل بالظلام ولكن الهواء من حولى جعلنى لا استطيع
سمعت صوت ذئاب تعوى دون توقف
وسمعت اصوات انفاس رجال لا تعرف الخوف
ثم استطعت أن اضئ مصباح ورأيت شيء غريب
غريب جدًا
كان خالد يحكى بأسلوب شيق قادر على جذب الانتباه ، وكانت رانيا تحب مثل هذا النوع من الامور فهي كانت تقرأ كثيرًا القصص البوليسيه والرعب وتشاهد الكثير من افلام الاشباح
يبدو عليها الكثير من الاهتمام
-ما هو الغريب
يبدو في عينيه الشرود
-استطعت إضاءة مصباح بعد العديد من المحاولات التي باءت بالفشل وحينما اضاء المصباح وجدت العديد من الناس يحيطون بى من كل جانب وكل جانب يريد أن انتمى اليهم واكون معهم وواحد منهم وانتمى إليه بكل ما امتلك الذين من خلفى يدفعونى إلى الأمام

يدفعونى دون الإلتزام بعادات أو تقاليد أو مبادئ أو قيم أو اخلاق
يريدون أن اكون تابع للعقل
للعقل فقط وليس شيء آخر
كان يريدون أن نصبح مثل العديد من الدول التي تجرد منها الإنتماء
كان يريدوا أن اتخلص من كل شيء وابدأ الحياة بمفهوم آخر لا أحب أن اكون به
كان يريدوا أن اتجرد من كل شيء حتى يصبح العالم الذي أنا فيه عالم مادى مجرد من أي شيء آخر
ولكن لم افكر أن انتمى اليهم فأنا لا يروق لي هذا
(ينظر إلى عينيها)
لا يروق لي هذا فقد تعلمت أن العالم لا يقتصر عن ما نراه بعيننا وإن هناك العديد من الأشياء غير الأشياء المادية التي نراها
(ثم يعود بعينيه مرة أخرى إلى الشرود)
وكان من على يمينى يريدون شيء غريب
غريب جدًا
كان يريدوا أن اترك كل شيء واتوجه إلى الإيمان الاعمى
كان يريدوا أن اترك العقل في إحدى ادراج مكتبى أو ألقى به في إحدى صناديق القمامة
كان يرونه شيء قبيح يجب التخلص منه إذا لم يخضع لأفكارهم التي يعتقدون إنها مطلق الحق والعدل والصواب
كان يبدو لي هؤلاء في قمة العجب
إنه كان شيء غريب جدًا بالنسبة لي أن يتبعون دون تفكير ويدعوا الجميع أن يكونوا مثلهم
شعرت بالفزع حينما رأيت وجوههم العابسه وملابسهم التي لا تناسب مع وقتنا هذا
سمعت اصواتهم الصاخبة المفعمة بالعذاب والوعيد لكل من هو لا ينتمى إليهم

وجدتهم يستعينوا ببعض النصوص المقدسه حتى تكون لها تاثير على العاطفة مثل ما تأثير الكثير
كنت اعلم جيدًا إنها إحدى الوسائل الاساسية التي يعتنقوها حتى يقوموا بالتأثير على الناس والحصول على العديد منهم لكي يسيروا خلفهم ويذداد عدد القطيع وبالطبع لم انتمى اليهم ، فهم في حاجة إلى وقفه مع انفسهم حتى يدركوا جيدًا ما هم عليه من تفكير لا يدعو إلا للعنصرية والقتل والبغض بأسم الدين
اومأت برأسها علامة على فهم ما يقول ذلك القريب البعيد
-اعتقد إنى ا ادركت الآن عن من تتحدث ولكن اخبرنى عن المزيد
-الفئة الثالثة كانت على اليسار
كانت على اليسار وهي بالفعل يسار
كنت ارى شباب يبدو عليه القوة والإرادة
شباب ثورى لا يخضع
كان كل فرد في هذه الفئة يبدو عليه انه لديه القدرة على تغيير الكون وإصلاح ما فيه
رايت شاب يحمل لوحات من الخشب عليها صور للرفيق تشى غيفارا
واخر يرتدى لباس عليه صورة الرفيق كاستروا
واخر يحمل ملامح عمر المختار
واخر يحمل نظرة فيكتور خارا
ومن بينهم صاحب الابتسامة التي تشبه ابتسامة غسان كنفانى
وكان من بينهم من يهتف بالحرية مثل أميكال كابرال
وكان من يحمله على عنقه صاحب البشرة السوداء التي بها من ملامح مارتن لوثر كينغ
شعرت أن بإمكانى أن اكون بين رجال قادرون على منح العالم حرية لا تنتهى وديمقراطية لا حدود لها
وامان لا يعرف الخوف
ودفاع لا يعرف التراجع

(ينظر إلى عينيها ويقول في اهتمام)
كنت ارى نساء رجال
ورجال ابطال
واطفال احرار
وشيوخ ثوار
كان ليس من بينهم من يعبد العقل مثل ما كان يعتنقون من هم خلفى
وكان ليس من بينهم من هو جاهل مثل من هم عن يمينى
كان من بينهم من يعبد الحرية ويقتل من أجل الدفاع عن الإنسانية
كانت الأرض تنتفض خوفا من تحت اقدامهم لشجاعتهم
كانت افواه البنادق مصوبة على رؤسهم وصدورهم ومع ذلك لم تتوقف السنتهم عن النضال
عيش حرية عدالة إجتماعية
كان هذا هو الهتاف الذي يجعل السماء تمطر سيلا من الامل على قلوبهم
كانت البنادق تخشى من الهتاف وتخجل من الوطنية التي يتحلى بها هؤلاء الشباب ولكنها مصوبة تجاه هؤلاء بأوامر عليا
كانت رانيا تتسارع انفاسها ويبدو على وجهها الشغف بهذه الفئة وتقول
من يدافع عن الإنسانية ويطالب بالحرية ويتخذ العقل والمنطق مرجعية ويتولى حال الفقراء قضية فحتما لابد أن يكون هم خير برية
-الفئة الرابعة التي كانت تقف امامى فئة حمقاء عقولهم جوفاء
كلماتهم ليست من عقولهم ، فهم ليس لديهم عقول قادرة على التفكير ، بل عقول خاضعة للتلقين كما كان يبدو عليهم جزء من القطيع الذي لا يعرف شيئًا ولم يتلقى علما
ولا يعرف حرية
ولن ينطق يومئ بالديمقراطية
بل يعيش من أجل تحقيق الديكتاتورية
وكان هناك من يحمل عصا طويلة قادرة على الوصول لمن في الأمام وصاحبها

في الخلف
هكذا يفعل الراعى مع الماشية
كان الجميع يرتدى زى موحد لا اختلاف به
ولا شرف له
ولا كرامه لصاحبه
كان كل منهم تخلى عن الإنسانية
ونسى تماما الهوية
وجعل بينه وبين هؤلاء فوهة البندقية
(ثم إبتسم ابتسامة حزينه وقال)
جعلوا فوهة البندقية على الصدور والعقول
(ثم صمت قليلًا وتغيرت نبرة صوته واصبحت حزينه وقال وعينيه مليئة بالدموع)
جعلوها مصوبة واذانهم بكل إخلاص مستمعة لأوامر عليا
اوامر تمنح لهم الإشارة في البدأ لقتل الخارجين عن القانون اعداء الوطن الذين يسعون في إسقاط الدولة
(يضحك ضحكة خافته والدموع في عينية تكاد أن تسقط ولكنه تعلم الصلابة منذ الصغر وإن دموع الرجال تسقط بعد سقوط الجبال في بئرها)
يكذبون حكامنا ويصدقوهم إعلامنا ويصفق لهم رجال ديننا
بكل سذاجة يؤمنون إيمان اعمى بكلام حكامهم وكأنه كتاب مقدس انزل من السماء
لم يفكروا ولم يخطر في اذهانهم أن هؤلاء من يصوبون بنادقهم عليهم هم افراد الوطن لهم حق العيش والحرية بدلا من الموت وفرض الديكتاتورية عليهم
اشفق على هؤلاء الذين يحملون البنادق لكي يقوموا بتحقيق اوامر من احمق مثلهم وهم يرددون كلماته التي يستحى أن ينطق بها شاب مثقف متعلم ولكن من معه السلاح والسلطة والقانون يجعل الجميع له خاضع دون رغبة في الخضوع

نسيت أن اخبرك إنهم هم من كانوا يصوبوا البنادق على رؤوس الشباب الحر وايضا على جميع الفئات التي اخبرتك عنها ،وكان هناك أيضًا العديد من الفئات ولكن لم يكن بهم القوة حتى يحصلوا على مكان في هذه الساحة التي كانت تحتوى على هذه الفئات

(يصمت قليلًا ثم يقول)

يخشون من المناضلين اصحاب الهتاف

يخشون ممن لديهم عقول تفكر بدون قيود

يخشون من اصحاب اللحى

يخشون من كل شيء

هكذا كان يبدو عليهم

كنت ارى الجميع يتصارع من أجل تحقيق هدف ورؤية لا يؤمن بها إلا اصحاب هذه فئة التي تركض ، وكان كل فئة من القئات هذه لديها رؤية وهدف يؤمنون به

كان يبدو لي شيء متناقض جدًا

شيء يجعلنى ارى صورتين لا مقارنة بينهما

الصورة الاولى تبدو وكأننا على شفا حفرة من النار إذا سقط بها فئة واحدة سقط الجميع

كانت حفرة بها نار اشد من النار التي كنا عليها من قبل والتي من اجلها ثار الجميع حتى يتخلص من كل شيء فاسد

والصورة الاخرى هي إننا على أول درجات الإرتقاء وإذا وضعنا إحدى القدمين على أول الدرجات كانت لنا بداية عصر جديد

بداية عصر حديث بدلا من العصر الظلام الذي تركته جميع البلدان بإستثناء مجتمعاتنا العربية التي مازالت تعيش بها

اشعر إننا نخشى من النور حتى لا يكشف عن عيوبنا ، ولذلك مازلنا نعيش في عصر الظلام ونبغض وندعوا بالهلاك على من سبقونا

***

يقترب خالد في هدوء من خلف والده الذي جالس يحضر القهوة على نار هادئة أمامه دون أن يشعر بوجود خالد يقترب منه ثم قام خالد بالمزح معه وجعله يرتجف من شدة الخوف حتى كاد أن يسقط الفنجان الذي كان في يده
يقول محمد وآثار الخوف يبدو على وجهه
-أنا قطعت الخلف بسببك وبسسب افعالك
يضحك خالد ويقول مازحا
-لا تقلق فقد انجبت من قبل ولا داعى لأكثر من ذلك
ثم ماذا تفعل ؟
تستمع للموسيقى وتحتسى القهوة وتعيش اجمل اللحظات ولا تريد من أحد أن يفسد عليك اللحظة
يقول والإبتسامة على وجهة
-من لا يستمع للموسيقى يومئ لم يحصل على الحياة بعد
يقول في اهتمام
-هل تحب الموسيقى إلى الحد الذي يجعلك لا تشعر بمن حولك ؟
-فطرة الإنسان تميل إلى الجمال فكيف اشعر بمن حولى وهناك شيء جميل يتدفق بداخلى ؟
يقول مبتسما
-أنت رومانسى كبير
-الحياة بدون حب لا تستحق الحياة
-ولكنى اراك دائمًا مشغول ومن النادر جدًا أن اراك جالس لا تقرأ برغم الكتب التي تقرأ بها بعيدة كل البعد عن الحياة التي تعيش بها
يفرغ القهوة في الفنجان ثم يرتشف منه رشفه ويقول
-انها حقًا مظبوطة مناسبة للجو قادرة أن تجعلنى اشعر بالهدوء والخيال أنت رائع في إعداد القهوة يا محمد
(ثم ينظر إلى خالد ويقول له)
-بالنسبة لرؤيتك لي وأنا مشغول دائمًا فهذا يعود إلى الحب أيضًا

يقول في إندهاش
-حب تانى ؟
-نعم حب
يدنو منه ويقول مازحا
-يبدو إنك تريد أن تقوم بها مرة ثانية ايها الصعيدى ؟
يبتسم محمد ويقول وهو يشير بسبابته إلى الغرفة التي توجد بها ريهام
-إذا سمعت كلامك هذا فلم تحصل على الوقت التي تخرج فيه الزفير بعد هذا الشهيق الذي اخذته أنت الآن
يضحك خالد سعيدا من معرفة والده قدرات والدته
-ولكن اخبرنى عن الحب هذا التي تتحدث عنه ؟
-الحب يكمن في كل شيء
حتى العمل بإمكانك أن تقوم به على حب أو تقوم به على بغض ومن ثم تجده ثقيلا لا ترغب في الإسامرار به
-وماذا عنك أنت ؟
-أحب الإنجراف خلف البحث في المكتبات
ابحث عن الأشياء التي لا اعرف عنها شيئًا
ابحث عن مجلدات لا اعرف لها اسماء
دائمًا أحب أن اكون مشغولا حتى لا انصت للتفاهات من حولى
هذا هو الحب وهذه هي الحياة بالنسبة لي
(ثم برتشف رشفه من الفنجان)
وإذا استطعت فقل
الحب حياة
يقترب خالد من والده ويقول هامسا
-وبالمناسبة لحبك لسيده القصر ؟
-كانت جالسة هنا في مكانك منذ قليل تحكى عن ذكريات لنا لم ارى منها شياء وبعد اربع ساعات حديث متواصل منها قالت انها تشعر بالصداع من كثرة ما

تحدثت أنا برغم إنى لم اتحدث بكلمة واحدة ، والصداع التي تشعر به هي ليس شيئًا بجوار الصداع الذي اشعر به أنا من كثرة ما تحدثت
(يضحك خالد على ما يتحمله والده)
فإنتهزت فرصة خلودها إلى النوم وقمت بإعداد قدح من القهوة ولكن دائمًا الواقع يرسل لي ما يجعلنى لا اشعر بالراحة
يضحك خالد قائلًا
-هي تحب التحدث وخاصة عن الذكريات وأنت تحب الصمت وخاصة في المنزل
-دع المرأة تتحدث كما تشاء وحينما تريد فالنساء غير قادرات على التحكم بأنفسهن عندما يراودهن شيئًا
-أنت تحبها كثيرًا
-لا يعرف قيمة المرأة إلا ذلك الرجل الذي يرهق نفسه كثيرًا في القراءة ، ثم أنا أحب ذلك الإنثى التي تتجرد من الصوت المنخفض والإنوثة الطاغية والهدوء الذي يسيطر عليها حينما تغار على من تحب
-الحب حياة بالنسبة اليك
-الإنسان يسعى جاهدا للحصول على الفوز بشعور النجاح ، والنجاح هذا اسمى ما يحصل عليه الإنسان وخاصة إذا كان النجاح في العلاقات الطويلة مثل الحب الحب هو اللاشئ من التعبير ، ولكن هو كل شيء بالنسبة للإنسان ، فالإنسان غير قادر على العيش بدون حب
والحب ليس مقتصرا على حب الرجل للمرأة بل هناك حب أشياء أخرى مثل
حب الطعام
حب المال
حب الشهرة
حب الحياة
حب الام والاصدقاء وافراد العائلة
ولكن حب الرجل للمرأة وحب المرأة للرجل هو الحب الذي يجب على كل من

الطرفين الإعتناء به الإعتناء والسعى جاهدا للحصول على أفضل الثمرات منه ، والإنسان عندما يعجز عن وصف شيء بداخله منحه السعادة فلا إراديا يجد نفسه يتبع الصمت مؤمنا أن لا يوجد كلمات تعبر وتصف ما بداخله من كلمات

يقول في لهفه

-ولكن لا اريد أن تصمت اريد أن تتحدث اريد أن اعلم كل شيء وارى كل ما تراه

-اجمل ما في العلاقات إنها تبدأ بأشياء صغيرة ثم تنبت وتكبر أمام اعيننا وتبدوا كزهرة في بستان تمنح رائحة عطرة جميلا لذلك الرجل الذي كان يمنحها الاهتمام دون انتظار عائد منها فقط يفعل ذلك لبقائها

-والعطاء ؟

-ليس منح الأشياء الكبرى هي التي تضمن البقاء في العلاقات مثل ما يعتقد الفقراء فكريا ، والدليل على ذلك أن الجبال لم تكن جبال شاهقة بدون الحصى ولم تكن البحار بحار ولا الانهار انهار إلا بتلك القطرات الصغيرة

-أنت لديك بعض الافكار التي لا تراود عقول رجال اوطاننا ولا يعترف بها شباب شبابنا

-اعلم جيدًا أن هذا جريمة يعاقب عليها من يعتنقها من الجهلاء الذين لديهم نقص حاد في إدرك عقولهم

-تتحلى بالشجاعة

-ليس هناك ما هو أفضل منها

الشجاعة والمغامرة اتخذت منهم ما إستطعت قبل الزواج ولكن بعد الزواج شعرت أن هناك من يستحقوا الخوف عليهم ولذلك اصبحت اقدم التنازلات حتى اضمن السلامة لمن ليس لديهم ذنب

(يرتشف من الفنجان الذي في يده)

-إذا كان بإمكانك أن تتسلق طائرة ستحلق في السماء بعد قليل فإصعد دون أن تسأل إلى أي أرض ستهبط بك

-اشعر بالصراع دائمًا بين الصوت الذي بداخلى وثرثرة من لا يعلمون
-ذلك الصوت الذي بداخلك يجب أن تستمع له وتتبع خطواته أكثر من الإتباع لذلك الاصوات التي تحدث الضجيج من حولك
-احكى لي عن حياتك
-احكى لي أنت اولا عن الجامعة
كيف حالك في الجامعة ؟
يؤمأ براسه
-تمام
كل شيء تمام
لا تقلق فأنا لا اخشى من االاشياء الجديدة
-حتى ولو كان كان رهبة فهذا شيء لا ضرر منه ، فالكثير ممن يلتحق بالجامعة يشعرون بالرهبة في بداية الأمر
-لست أنا فأنا ابن الرجل الذي يتحلى بالشجاعة ويعيش المغامرات
-اعلم ذلك
-والآن احكى لي عنك قليلًا

***

يقرع الجندى الباب ويدخل ويبدو عليه الخوف وبقول متلعثما
-المسجون ادهم فقد الوعى تماما يا فندم
كان يبدو على العقيد شهاب عدم الاهتمام تماما بما يقال له
-ماذا نفعل سيادتك ؟
هل نذهب به إلى طبيب السجن ؟
كان ما زال الجندى يتحدث في عجل والخوف والقلق يسيطران على كلماته التي كانت تخرج متداخله في بعضها البعض
يقول شهاب دون ادنى مبالاة وهو ما زال ينظر في الاوراق التي أمامه
-احضر لي فنجان من القهوة
(ثم يرفع وجهة إلى الجندى بعدة عدة لحظات من الصمت)

القو به في الزنزانه
يعطى له التحيه
-تمام سيادتك
يقوم مرسى ناهضا من مكانه مفزوعا عندما دخل اثنين من الجنود الزنزانه وادهم بين ايديهم يحملوه من ذراعيه وقدميه ليس بهم شيء من القوة حتى تحمل الجسد وكان رأسه أيضًا مطأطأة للارض فاقد للوعى
بيركض نحوه صديقه ويجلس بجواره ويحمل رأسه من على الأرض ويقول في لهفه
-ادهم هل أنت بخير ؟
ادهم رد على ماذا بك
ماذا تشعر
ماذا فعلوا بك هؤلاء الكلاب
كان مرسى يحمل رأس على ذراعه الايسر ويحاول أن يضرب ضربات خفيفة على وجهة حتى يعيد للواقع ولكن ما فيه ادهم اكبر مما كان مرسى يعتقد
يجلس عبدالله صديقه أيضًا بجواره في خوف ويمسك يده ويقول له
-ادهم رد
ادهم
ادهم رد ارجوك
يحاولان كليهما العمل على ازالة الخوف من قلوبهم بإلزالة الخطر من على ادهم الممدد امامهم فاقد للوعى غير مدرك لما يحدث من حوله ولما يقال ممن حوله حتى مر أكثر من ثلاثون دقيقة من الزمن لم يدرك فيهما ادهم شيئًا وعندما بدأ يعود إلى الواقع مرة أخرى وفتح عينيه التي كانت تبدو فيما تعب شديد حينها وجد نفسه في الزنزانه وزملائه بجواره ينظرون إليه ويبتسموا
-ماذا حدث ؟
اشعر أن كل شيء في جسدى يؤلمنى
هل يستطيع أحد أن يخبرنى عن الشعور الذي اشعر به فأنا لم اتعلم كلمات من

قبل تصف ما اشعر به الآن من احساس
يقول مرسى محاولا تخفيف الألام عليه
-لا تقلق
أنت على ما يرام
يذهب مرسى ويحضر زجاجة ماء
-اشرب ماء وستصبح أفضل
يرد ادهم ماذحا
-المياه هي التي تجعلنى أفضل ؟!
إذا كان ذلك حقًا فأنا في حاجة إلى تفريعة من نهر النيل
يضحك عبدالله صديقة
-منذ دقيقة واحدة كنا سنقرأ الفاتحة على روحك
يقول مرسى
-لماذا تعاند معهم ؟
أنت بين ايديهم فلا تفعل ذلك رجاءا ، وإذا استمر عقلك في العناد فلن تخرج من هنا
هل نسيت يا ادهم ؟
هل نسيت حديثك الذي كنت دائمًا تقوله ؟
إحذروا من رجال الدين على عقولكم
ومن رجال السلطة على حقوقكم
ومن رغباتكم على انفسكم
هل نسيت هذا يا ادهم ؟
هل ستحصل على حقوكم وأنت بين ايديهم هكذا ؟
آلا تخشى على نفسك من رغباتك ؟
لماذا تفعل ذلك ؟
المكان خاطئ والتوقيت غير مناسب وجسدك تحت فكى نظام فاسد
يقول شاب يبدو في التاسع والعشرون من العمر

-وما فائدة العيش والروح تتعذب
وما قيمة الجسد والعقل يتقلص
(ثم يصمت قليلًا ويقول ناصحا)
لا تحاول فهم ذلك العقل الذي يؤمن تمام الإيمان أن ما يخبرك به هو الصواب
لا تحاول إقناع شخص لديه تلقين من سلطة عليا تسطر على كل كيانه وتسلبه الحق في التفكير
(ثم يبتسم في حزن)
لقد تعلمت مبكرا إنه لا يصلح النقاش مع صاحب الزى العسكرى
صاحب الزى العسكرى لا يقرأ وإذا قرأ لا يفهم وإذا فهم يخشى أن يتحدث
وإذا كانت لديه الشجاعة أن يتحدث فحتما سيكون ليس لديه وجود في الوجود
يرد مرسى عليه قائلًا
-أنت ابن رجل كان ينتمى اليهم ومع ذلك اتيت إلى هنا
-هؤلاء لا يبقموا لمثل هذه الأشياء وزنا
اهم شيء لديهم هو اماكنهم وليس اولادهم أو حتى اولاد اصدقائهم
-ولكن لماذا تيت إلى هنا ؟
-اتيت إلى هنا لكونى لم اقبل ما كان يحدث ولم استطيع الصمت
-وهل كان والدك موافق على ما تقول ؟
-لم يكن موافقا مما ادى بى إلى ترك المنزل والعيش وحيديا امارس حرية التعبير
يبتسم مرسى ويقول
-اشعر إنى اتحدث مع ادهم
-أنا أيضًا شعرت أن هناك توافق فكرى مع ادهم برغم إنى لم اتحدث معه كثيراً
-وبالنسبة لوالدك ؟
-والدى لم يتحمل رد الفعل التي قامت بها المؤسسة معه
-ماذا فعلوا معه ؟
-فعلوا ما يخشى منه أي رجل في هذه المؤسسة
-توقف عن العمل ؟

-في اقرب حركة قاموا بالإستغناء عنه
-وطبعا هذا كان كفيل انه يجعله يشعر أن الحياة لا قيمة لها
-ومات بعد اربع شهور من كثرة الامراض التي لحقت به نتيجة الحزن على ما فقد
يقول مندهشا
-هل مناصبهم تمثل لهم الحياة للدرجة التي يتمنى منهم أحد الموت بدلا من فقدانه للسلطة ؟
-من تذوق طعم شهوة الجاه والسلطة تمنى أن يموت قبل أن يفقد ما لديه ويصبح مثل من كان يراهم عبيد له
-ثم ماذا ؟
-ثم مثل ما ترى
انتهى بى المطاف إلى هنا بعد ما رفضت التراجع
-ولكن ما السبب وراء ما اتى بك إلى هنا ؟
ابتسم ابتسامة حزينه
-كنت مؤمن
ولكن الإيمان كان لهم شيء مزعج
ارسلونى إلى عدة اماكن
بداية من مستشفى المجانين إنتهاءا بهنا
يرد مرسى في اهتمام
-بأى شيء كنت مؤمن ؟
وهل إيمان الإنسان أم عدمه يشكل كل هذا الخطر عليهم الذي يؤدى بهم إلى عمل هذا مع أحد من ابناء رجالهم ؟
-اسأل صديقك الذي ممدد بجوارك
-وماذا قلت ؟
-قلت الحقيقة
-وهل كل حقيقة تقال ؟

-اعلم أن الوطن الذي اعيش به لا يحب أحد فيه سماع شيء عن الحقيقة ولكن لم استطيع الكتمان أكثر من ذلك
-اخبرنى
ماذا قلت ؟
-قلت
إذا سألوك عن تخلف الامه فقل لهم
لدينا حاكم احمق
ومعلم جاهل
وتاجر دين يتلاعب بالعاطفة
(ينظر اليهم في منتهى الهدوء ويقول)
اسوء انواع البشر هم هؤلاء الذين يبذلون مجهود عظيم حتى يثبتوا إنك حقًا اخطأت عندما شعرت بالثقة في الحديث معهم
يقول ادهم له وهو ما زال مستلقى على ظهره
-هل تعتقد أن ما بيننا وبين هؤلاء كثيرًا حتى يفهموا ما نفهم ؟
-اشعر أن ما بيننا وبينهم شمس محرقة
وقمر محاق
ونجوم تختفى في سماء سوداء
وبحر امواجه متلاطمة
وذورق عن ايدينا بعيد
يقول له عبدالله
-أنت تعلم جيدًا أن من يحاول عمل شيء يعكر صفوهم يجعلوه يعيش ما تبقى من حياته خلف القضبان
فلماذا فعلت ذلك ؟
-أنا ارى أن العمل رسالة وأنا أحب أن اتقن في رسالتى وخاصة إذا كانت لها تأثير على الكثير
-وما هو عملك ؟

فجأة وعلى غير العادة يقتحم الزنزانه اثنين من الجنود وبقول احدهم لأدهم في غضب وبصوت مرتفع
-انهض واحضر إلى هنا
يرد صديقه عبدالله
-ادهم تعبان ولم يستطيع الوقوف
ثم ماذا تريدون ؟
-إذا لم تصمت بمفردك سأجعلك تصمت رغما عنك
(ثم ينظر إلى ادهم ويقول)
قم
يرفع ادهم رأسه قليلًا وينظر إليه
-أنت تقصدنى أنا ؟
يرد الجندى الاخر
-نعم يتحث معك أنت أم تراه أنت يتحدث مع زوجته
يرد ادهم بصوت منخفاض
-اتمنى أن تأتى إلى هنا حتى اجعلها تبغض الرجال
يرد عليه عبدالله قائلًا
-أنا فعلا مشتاق للحظة دى
يرد مرسى عليهم قائلًا
-لا يصلح يا رفاق الحديث في هذا الشأن فنحن رجال يحترم المختلفون معنا ولكن إذا اتت زوجته فلا بأس من التخلى عن تلك المبادئ قليلًا فأنا مشتاق ومنذ الكثير لم اقترب من امرأة
يضحكان الثلاثة معًا مما اثار غضب الجندى الذين لا يعرف عن أي شيء يتهامسون ويضحكون
يقول الجندى في غضب
-انهض حتى لا استخدم معك القوة
يضحك الجميع ويقول ادهم ساخرا

-قوة ؟؟
هل الجسد الذي امامك هذا تراه في حاجة للقوة أم أنت تقول دون أن تفكر ؟
يقول بصوت صاخب
-انهض
-ماذا تريد ؟
-العقيد شهاب يريدك ، ثم أنت هنا لا تسأل
-لا اسأل ؟!
-نعم لا تسأل
يقول عبدالله مازحا لصديقه ادهم وهو يربت على كتفه
-اعتقد اننا فعلا سنقرأ الفاتحة الآن على روحك
يقول مرسى
-ادهم ارجوك لا تقول شيء يجعله يفقد اعصابه
أنت هنا على ارضهم وتحت سلطتهم ، و تعلم جيدًا انهم لا يخشون من شيء
يقول ادهم
-لا تقلقوا يا رفاق
سأعود اليكم قريبا
يطرق اثنين من الجنود الباب ويدخلان وبينهم ادهم محمول من ذراعيه كالمرة السابقة وعندما وقفوا أمام العقيد شهاب الذي كان يبوا عليه مشغولا بما بين يديه من اوراق الذي عرف من خلالها أن ادهم ذو مكانه علمية في إحدى الجامعات وإنه ليس له أي إنتماءات لأى تيار أو حزب
يشير العقيد شهاب بإحدى يديه إلى للجنود أن يذهبوا للخارج وان يتركوه ارضا يخرج الجنود ويغلقوا الباب وينظر شهاب إلى ادهم وهو جالس على الأرض وينظر إلى الاسفل غير قادر على رفع رأسه لينظر إلى العقيد شهاب
يبتسم العقيد شهاب ويقول له
-هذا ما اريده
أنت الآن اصبحت مهيئ أنت تقف امامى

كان يشعر حينها شهاب انه انتصر عليه واستطاع أن يجعله مكسور أمامه غيرقادر على النظر في عينيه ولكن كان مدهشا حقًا عند وجد ادهم يرفع وجهة ويبتسم له
كان العقيد شهاب يشعر بالإندهاش ولكنه استطاع أن يخفى هذا بداخله وقال له
-تبتسم ؟!!
بعد كل ذلك ومازلت تبتسم ؟!!
يردد ادهم مقولة شكسبير الشهيرة
-المهزوم إذا إبتسم أفقد المنتصر لذه الفوز
بشعل شهاب سيجارة ثم ينظر إليه صامتا لعدة لحظات ثم يكسر الصمت الذي يملئ المكتب
-هل أنت مدرك لما أنت فيه من خطر ؟
هل تعتقد إنك ستفعل ما تفكر به ؟
يرد عليه في إصرار وعزيمة لم يرى شهاب مثلها قط
-يكفى إنى مازلت افعل ما اقوله حتى لا اكون من هؤلاء الذين يطالبوا أن يفعل الاخرين دون أن يفعلوا شيء
-ماذا تريد أنت ؟
اريد أن اخبرك أن خطورة ما تفعله لا تقل عن خطورة الموت
هل تريد الموت ؟
سئمت من الحياة وتريد الخلاص ؟
-أنا لا اخشى من الموت
لا اخشى على الإطلاق
ولكنى اخشى من المأساة التي تمارسها معى الحياة

كان العقيد شهاب ينظر إليه وتدور اسأله كثيرة في ذهنه
هل هو مدرك لما يقول ؟

هل يعلم جيدًا مدى العواقب التي ستواجهه نتيجة هذه الكلمات التي ينطلق به لسانه بمنتهى القوة والجسد محطم ؟
هل هو متعمد أن يسجن ويعذب ويكون ضحية لهذه الافكار ؟
أم هو لا يدرك لما يقول من اثر التعذيب الذي تلقاه ؟
اسئلة كثيرة تراود عقله ولكنه اراد معرفة المزيد مما يدفع به إلى الهلاك وهو يعى جيدًا ما يقوله دون تردد
-أنا لا اعرف ماذا اقول لك
ولا اعرف كيف تقول أنت هذا هنا
هل أنت مدرك اولا في أي مكان توجد أنت ؟
هل أنت مدرك أمام من تتحدث ؟
هل هو غباء منك ؟
أم هي شدة منك وارادة في التعبير عن الرأى والتمسك بما لديك من مبادئ ؟
اشعر إنه غباء مركب
كان يحاول أن يجد شيء يجعله بشعر أن ذلك الرجل الذي يقف أمامه يتحدث بدون وعى وإدراك بما هو في من خطورة
ثم استرد قائلًا
-نعم إنه هو الغباء المركب
هل تعلم ماذا هو الغباء المركب ؟
بمعنى إنك تجهل وتجهل إنك تجهل
ولذلك أنت تجهل خطورة ما تقوله من كلمات قادرة على أن تجعلك اثير هنا حتى الفناء
(ثم يرتشف من القهوة ويقول في هدوء)
هذا هو الحل الوحيد الذي اجده يشفع لك عندى حتى لا اتعامل معك على كونك رجل يعى ما يقول
يرد ادهم في هدوء
-التفكير حق لكل إنسان ولكن لابد من التوقف عندما يبدأ ما لدينا من تفكير

في إقتحام افكار الاخرين
-ماذا تريد ؟
-اريد الإصلاح
-ولماذا تؤمن أنت وامثالك من الذين يعتقدون أن هذه البلد يصلح لها ما تؤمنون به ؟
لماذا تؤمنون أن ما في الكنب والمراجع التي تدرسون إياها وتلوثوا بها عقول الشباب في الجامعات هي الحل الأمثل لبلداننا ؟
لماذا ترفضون حكم السطة بهذا الشكل الذي يؤكد لنا أن ليس لديكم إنتماء للوطن ؟
يضع يديه على وجهة كالذى سمع شيء سيئا لم يتحمل سماعه ثم ترك يده تسقط من على وجهة وقال
-تلوث ؟!!
أي تلوث تقصد ؟!
هل فلسفة التاريخ ونيتشة تلوث فكر الشباب ؟
هل دراسة فكر كانط وفرويد كلام فارغ ؟!!
الإقتصاد والسياسة ليس لهم وجود ؟ !!
يبدو إنك تريد أن اقوم بترويض عقولهم مثل ما يحدث معكم
***
-ونخرج فاصل ونعود لكم انتظرونا
(يكمل المخرج حديثه عبر السماعة مع المذيعة)
-يا استاذه حاولى تسيطرى في الحوار
أنا خرجت فاصل حتى تذكرى الضيف إننا على الهواء
نحن على الهواء
(يكرر في غضب)
نحن على الهواء
(ثم يردد ويقول)

اشعر إننى سأقضى باقى حياتى في السجن بسبب هذا اللقاء
تقول مادلين
- استاذ عباس ارجوك نحن على الهوا وهناك ملايين يشاهدوا اللقاء منهم من تسئ إليهم
يتدخل المخرج للمره الثانية ولكن هذه المره ليست بصوته فقط بل دخل بنفسه إلى الضيف ويقترب منه ويقول له
-من فضلك يا دكتور عباس تعال معى
يرد في هدوء
-إلى اين ؟
-في غرفة المكياج
-أنا لا اريد مكياج يبدو إنك تقصد المذيعة وليس أنا
-أنا اقصدك يا دكتور أنا اصلا في حاجة للتحدث معك قليلًا على ما تنتهى الإعلانات
-يعنى في إعلانات؟
-طبعا يا دكتور الإعلانات كتيره جدًا وما في رجوع قبل عشر دقلئق
يقول متعجبا
-هل من المعقول أن الناس تتابع برنامج به ضيف مثقف يدعو للاحرر من العبودية ؟
على كل حال إذا كان الأمر بعيد عن المكياج فأنا موافق
يقوم عباس ويدخلان سويا غرفة ليجلس عباس والمخرج بجاوره قائلًا
-ارجوك لا تقول هذا الكلام مرة ثانية على الهواء لعدم المشاكل وإذا كان حضرتك في حاجة إلى الحديث والإستماع في هذا الأمر فيمكننا أن نتحدث معًا بعد إنتهاء البرنامج وأنا على إستعداد أن اكون معك حتى الصباح وبالمرة نلف جوينت أو اثنين حتى نستطيع أن نتحدث بمذاج ثم أنا اعلم أن حضرتك صاحب مذاق عالى وهذا سيجعلنا نفهم بعضنا سريعا بدون قطع ارزاق أو التعرض للمسئوليه القانونية أو أي اتهام من رئيس المحطة بعدم السيطرة على

القناة أو عدم توجيه الضيوف وهذا طبعا في حالة عدم وجود استاتذه افاضل مفكرين امثال حضرتك وارجوك ارجوك ارجوك لا تتحدث عن النظام أو عن حكامنا بشئ سلبى
ارجوك أنا مرتبط واريد أن اتزوج لكونى اشعر بتعب
تعب بالغ
ينظر عباس في عينيه ويقول ويطول النظر بعينه
-من اين اتيت بهذه المعلومات التي جعلتنى اراك عبقريا
-أي معلومة هذه ؟
يقول ساخرا
-المعلومة التي جعلتك تعرف إنى صاحب مذاق يا عبقرى القرن يا فيلسوف العصر يا مؤرخ الزمان ؟
يرد المخرج وهو يعدل قميصه صاحب البراند العالمى ويبدو عليه الفخر
-وهل هناك أحد يفهم الواقع جيدًا ويشعر بحماقة من حوله ولا يستعين بشئ عليه يا دكتور
-أنا دائمًا نظرتى لا تخيب أبدًا ثم أنا قرأت بعض الكتب التي قمت بكتابتها ورأيت اسلوب رجل صاحب مذاق
يحدق في المخرج ويبدو عليه الإندهش
-قرأت لي ؟!!
شيء غريب أن قارئ يتحدث هكذا ولكن دعنا من هذا الأمر واخبرنى في أي كتاب قرأت أنت ؟
يبدو عليه عدم القدرة على الإجابة
-قرأت كتاب فوائد العلاقات الجنسية
يبتسم ويقول
-أنا لست نرمين قطب يا إستاذ
-ولكن اسمها ليس نرمين بل
يقاطعه سريعا

-اعلم ولكن اصمت حتى لا تقع بنا في الخطأ فنحن لا نريد قضايا رد شرف ونحن لدينا ما يكفى من القضايا
-ولكن أنا قرأت الكتاب التي تحدثت عنه الإستاذه مادلين
يبتسم ويؤمأ برأسه متيقنا إنه لم يقرأ شئء
-وهل ما قرأته جعلك تتأكد إنى صاحب مذاق للدرجة التي جعلتك تأتى وتعرض على أن نسهر سويا
-أنا نظرتى في الأشخاص دائمًا صائبة
يبتسم ابتسامة جانتبية
-ارى ذلك حقًا
(ثم يقول بصوت منخفض)
ارى ذلك لم يحدث
-أنا أول ما رايت حضرتك شعرت بالراحة
يبتسم عباس ويضع يده على جبهته متعجبا ويقول يائسا
-وأنا كمان
اعتقد إننا اتفقنا والآن يجب أن نعود للبرنامج
(ثم يوجه حديثه للمذيعة)
جاهزة يا إستاذه ؟
-جاهزة
(تتمتم وتقول)
اشعر أن هذه الحلقة ستكون بمثابة الحلقة الاخيرة لي على شاشة هذه المحطة كما اشعر إنى لن اصل المنزل في سلام
ثم يعود المخرج إلى مكانه مرة ثانية ويجلس على المقعد الخاص به وكان يبدواعليه إنه في الثامن والعشرون من العمر وكان شعره طويل وكثيف بالإضافة إلى الاستك الذي كان يحتوى على شعره كإحتواء فكى الاسد على جسد فريسة له وكانت الإكسسوارات كثيرة في يده بجوار الساعة التي كانت تكاد أن تصل إلى حجم المنبه التي يستيقظ عليه الكثير

(يقول المخرج)
-على الهواء يا إستاذه
تزفر مادلين من بين شفتيها في إرهاق وهي تعيد اوراقها وتتمتم
- ربنا يستر وتمر هذه الليلة على خير
(متوجها للمذيعة)
-على الهوا يا استاذه
- ورجعنالكم مرة ثانية في برنامج البداية مع الإستاذ الدكتور عباس الكاتب والمفكر الكبير
أهلًا بك مرة ثانية يا دكتور
يبتسم ويؤمأ برأسه
-شكرًا لك
-وماذا عن فترة السجن يا دكتور عباس ؟
-تقصدين السنتين التي قضيتهما في السجن ؟
-نعم
-الأمر بشكل بسيط إنهم عندما سرقوا كسرة الخبز من الفقير
وحطموا الأقلام ومزقوا الإذن
(ويمسك بإحدى إذنيه)
اعتقدوا أن الأمر انتهى والإستسلام حل محل الصمود

- لم تكن لها تأثير عليك هذه الفترة للدرجه التي تجعلك تتراجع أو حتى تتوقف قليلًا ؟
-كانت أول مرة يلقى بى خلف القطبان عندما كنت في الاربعون من العمر بعد العوده من إحدى الدول الاوربية التي كنت ادرس بها بعد الإنتهاء من مناقشة الدكتوراه
ولكن المعنى الخفى والسر العظيم خلف هذا الأمر والذي لم ابوح به من حينها هو موقفى بالرفض التام عندما اراد أحد المسؤولين شراء قلمى مقابل

منصب ولكن كان السجن هو البديل للمكتب الكبير والكرسى العظيم الذي يتهافتون عليه الكثير
وعندما شعر إنه مهدد أن اتحدث عن هذا الفساد قام بتلفيق بعض التهم والتي لا اعرف عنها شيئًا ولكن الذي اعرفه حقًا هو خوفهم الشديد وقلقهم المستمر تجاه كل من يكشف سرقتهم وافعالهم واستغلالهم لمناصبهم وسلطتهم ونفوذهم في الحفاظ على اماكنهم مع الحصول على اكبر قدر ممكن من اموال الفقراء
-وما هي هذه التهمة ؟
-التهمة إنى قمت بالتحريض على القيام بمظاهرة والمظاهرة تحولت إلى شغب وتحريض وإعتداء على مؤسسات الدولة والمصالح الخاصة وهذا طبعا بقيادة اخطر رجل في العالم
(ثم يبتسم في سخرية ويشير بالسبابة على صدره)
وبالطبع هذا الشخص هو أنا
تذوب الابتسامة في بحر من الهموم كما يذوب الملح في الماء ويقول
ثم كيف ؟؟!!
كيف لرجل يحب البلد ويثور من اجلها حتى يدافع عنها ثم يتهم بأنه يخرب وينشر الفساد فيها ؟
يبدو أن تفكيرهم محدود جدًا حتى في عدم حسن اختيار التهمة
وبعد ثانى يوم من السجن مات صديق كان من أكثر الأشخاص المقربين لي و كان لا يفارقنى أبدًا كما كان دائمًا يدفعنى إلى الأمام ويسير معى خطوة بخطوة كان على قدر كبير من الثقافة ولكن كلمة حق تقال لقد رأيت بدلا من شادي مليون شادي في الثورة التي قام بها شبابنا
الشباب الذي قدم نفسه للموت حتى يحصل على الحرية أو حتى يحصل غيره عليها
الشباب الذي ترك مستقبل مشرق حتى تصبح الدولة أفضل ويزول كل الفساد وكان المقابل تقديم حياتها فداء لها

الشباب الذي رأيته في الثورة كان شباب مثقف متعلم ليس منهم عميل ولا خائن مثل ما كانوا يقولوا في القنوات الفضائية على ألسنه إعلام فاسد وفنانين سفهاء
الشباب الذي رأيته في الميدان كان يدرك جيدًا ما يجب عليه أن يدركه
كان شباب يفهم جيدًا في السياسة كان شباب يفهم جيدًا في الإقتصاد كان يعرف افكار نيتشه وماكس فيبر وكان مطلع على نظرية دارون وفكر البرت اينشتين
رأيت شباب يقرأ لفرويد
رأيت في الميدان شباب مثقف لم يطلق يومئ على داعية لقب عالم لمجرد أن لديه لحية أو يحمل سواك ويدعى إنه اعلم اهل الأرض بمجرد قراءة بعض كتب التراث
لم اتخيل يومئ رجل دين يخرج على الجميع بكلمات رنانه وعبارات جوفاء يدعو إلى التقشف والزهذ وهو يعيش الرفاهية في ابهى صورها
(ثم يقول بصوت حاد)
الشباب الذي قال لا عن وعى وإدراك وعن قناعة تامة ويعلم جيدًا إنه قال لا لكون هناك نعم اقوى منها ستجعل الحاضر أفضل والمستقبل اجمل
- افهم من كلامك أن هناك شباب من هذه الاجيال قادر على أن يعيد الامجاد
-ما لا شك فيه أن الشباب الآن قادر على التغيير وهذا ما قام به في الاونه الاخيرة ولكن ليس كل الشباب هكذا ، فالقليل هو من يعلم والكثير يتبع عن جهل دون معرفة شيء وإلا كان الجميع الآن يمتلكون عقولا لا تقل شأنا عن عقول كبار العظماء والمفكرين حول العالم أو على الاقل سيكون لديهم وعى وإدراك بما يحدث من حولهم وهذا سيدفعهم للإعتراض على كل شيء لا يروق لهم ولا يتوافق مع عقولهم
- واين يكمن الحل في هذا الشأن ؟
- يكمن في التعليم
لابد أن يكون هناك تعليم حقيقي فعال
تعليم بعيد عن التلقين الذي نحن نمارسه ونعيش فيه منذ الكثير وكأنه وصفة

طبيه لا يصلح الإستغناء عنها
تعليم يغرس في عقول الطالب روح التفكير والخيال والحب و الإطلاع
تعليم ليس به عقاب جسدى
تعليم ليس به إهانه
تعليم بعيد عن الافكار الإرهابية التي تدعوا للعنصرية
نحن لا نريد أن يتخلى الطالب عن المدرسة ويسئ كل يوم في داخله لها عند الإستيقاظ من النوم وكأنه ذاهب إلى الجحيم
نريد تعليم صحيح ليس به شيء من إستغلال المدرسين للاباء
-وماذا الشئ الذي يلى التعليم ؟
- الحرية
كيف يبدع الشاب وهو مسلوب الحرية ؟
كيف يشعر إنه شريك في الوطن وهو مكبل بأغلال وضعها له ديكتاتورى متسلط بأسم القانون لكي يحمى بلد من ابناءها ؟
الحرية لا تفسد في الأرض عند المثقفين بل كل الفساد عند الحمقى الجهلاء الذين يخشون على مناصبهم من صوت الحرية
لابد من وجود حرية التعبير عند كل مواطن
هذا هو وطنه وهذه هي ارضه ومن لا يروق له هذا الحديث يذهب برأسه إلى اقرب حائط ويفعل ما يشاء به لابد أن تتوافر الفرصة لدى الجميع في البوح بما في داخلهم حتى ولو كان ما بداخلهم هذا سيجعل الحاكم يبدو احمق جاهل أمام الجميع فهذه حرية التعبير وهذه حرية الرأى
اصبحت ارى بلداننا تستحق الشفقه عليها
اصبحت اراها في موضع المرأة التي تقف في إشارة المرور تركض نحو جميع السيارات (البلدان) وتقدم لصاحبها (حكامها) الولاء والطاعة فقط لكي يشفق عليها ويمنحها شيء من العطاء
ارى بلداننا هكذا
فهو جعلنى اراها هكذا وليس شيء آخر

في اهتمام تقول مادلين
- من هو ؟
-هو الذي يمثل بلداننا
والذي يتحدث بأسمائنا
من لا يردد اقوالنا ولا ويحقق رغباتنا
يا ليته يدرك أن عدم العقاب على حرية الرأى شيء لابد منه
يجب أن يدرك أن الإنسان لابد أن تكون لديه الجرآة في قول ما يريده دون خوف
دائمًا اتسأل وأنا اتناول القهوة
إلى متى سيجعلوا الشباب يخشى الحديث والبوح والخروج ورفض كل ما هو سلبى في بلدانهم
إلى متى سيظلوا يبنوا ويشيدو العديد من السجون للمواطن الذي في اشد الحاجة إلى تشييد مدرسة وجامعة ومستشفى ؟
هل تعتقدين أن المواطن سيشعر بالولاء والحب نحو وطن يمنح له الخزلان والأمان ويضمن له التهلكة والجحيم ؟
يبدو إنهم لم يستمعوا لجون بول سارتر عندما قال
أكره الضحايا الذين يحترمون جلاديهم
وأنا لا ابرئ حكامنا فهم اشد حماقة من الحمق ذاته
يبدو عليها الخوف
- يا دكتور عباس ارجوك لا داعى لتلك التشبيهات فحكامنا يحسنون التفكير جيدًا
يقول في جدية
-إذا كنت لا تستطيعين قول الحقيقة فلا تصفقين للباطل
هذه كلمه قالها رجل من قبل واعتقد إنها رد مناسب لهذه الكلمة التي تفوهت بها أنت الآن
نصيحة من رجل عجوز

لا تكون من هؤلاء الذين ينافقون على الشاشات
لا تكون من الذين يقوموا ببيع انفسهم من أجل الحصول على بعض المال
لا تكون من هؤلاء القطيع الذين يذهبوا حيث يشاء من بيده العصا
أنا اقبل دائمًا دعواتكم لكونى احترمك وإذا كانت المحطة لا تقبل هذا فلا داعى لتكرار الدعوة مرة ثانية فأنا لست فنان لكي احضر هنا واتحدث عن مغامراتى العاطفية ولست رياضى حتى اتحدث عن مدى البطولات التي حققتها ولست سياسيا حتى اكذب على المواطن
- واضح جدًا حديثك يا دكتور وليس في حاجة إلى المزيد من الإيضاح ودعنا ننتقل إلى الأمر الثالث إذا كان هناك شيء آخر فنحن ليس لدينا أكثر من خمسة عشر دقيقة في هذا الحوار
- المساواة
المساواة هي الشئ الذي يجب أن يكون موجود أيضًا في هذه البلد وإلا سيكون هناك تفاوت طبقى غير معقول وهذا ما نعيش فيه الآن
يبدو أن كل شيء سئ يتمكن منا ويسيطر علينا ومتغلغل بداخلنا ونحن عليه اصبحنا نتغذى
لقد سمعت إذنى عن ارقام اموال رجال كانوا ذو مناصب في النظام السابق لم اسمعها من قبل
ارقام شعرت بالذهول عندما سمعتها حتى اعتقدت في نفسى أن رجال الرياضيات لم يصلوا من قبل إلى اسماء لهذه الارقام الذي انتشرت إنتشار النار في الهشيم بين الناس
اشعر بالخزلان والغضب عندما اجد رجال اغنياء جدًا ولديهم الكثير من الناس يعملون تحت سلطتهم بأجور لا تكفى للطعام طوال الشهر والدوله ورجالها أيضًا لا يهتموا بشئ ولكن دعينى اسألك هل رايت تخلف وجهل وظلم وسرقة بهذا الكم الهائل في دولة من الدول الاوربية التي تذهبين إليها من حين إلى ؟
تقول ويبدو عليها التأثر
-في الحقيقة لا

-اشعر بالإندهاش عندما اجد رجل مثل عمر بن عبد العزيز وهؤلاء الحمقى من امة واحدة
عمر بن عبد العزيز الذي كان ينثر الحبوب على الجبال حتى لا يجوع الطير في عهده
(يقول لها مؤكدا)
فكر جيدًا في الأمر
أنا اقول حتى لا يجوع الطير وليس الناس
كنا نفعل الصواب عندما كنا رجال ثم اصبحنا نفعل الخطأ عندما اصبحنا اشباه رجال
اشباه رجال تخلت عن الكرامة
اشباه رجال تخلت عن الإنسانية
اتعتقدين مثل ما يعتقد الحمقى أن سبب التخلف الذي نحن فيه هو الإبتعاد عن الدين والشعائر والتقديس بأسم الإله كما تحدثنا منذ قليل
كل ما في الأمر انهم يريدون الخوف يتمكن من الناس ولكن إذا جاع الطفل وضاق الحال بالرجل وعرضت المرأة نفسها من أجل إطعام رضيعها فلا وقت للخوف هذا
-ولكن الأمر
(عباس مقاطعا المذيعة)
-ولكن الأمر تبدل
والرجال اصبحت احوالهم لا تروق للنساء
وانوثة النساء اصبحت تكمن في الميوعة والإنحلال
عندما كنا رجال كان الرجل لا تحرك جميع النساء به شيئًا
كان الرجل عقله قبل شهوته
وكانت المرأة تتحدث بدون خوف
كانت أم وشقيقة وصديقة وزوجة ورفيقة
اما الآن فالرجال شهواتهم تتقدم عن عقولهم حتى اصبحوا اشر من الحيوانات

واصبحت المرأة عورة لا تتحدث ولا يصلح لها أن تحب وإلا كانت في حكم الاموات حتى لا يلحق العار برجال ليس بهم شيء من سمات الرجال
من كان يصدق أن البلد التي كان يأتى إليها الناس من جميع البلدان حتى يتمتعوا بجمالها ويتخذوا تجارب ناجحة منها أن تنقلب هكذا وتكون دولة تعيش على المعونات ويأكل الكثير من المواطنين بها من الفضلات الملقاه في القمامة
نعم نحن لدينا الكثير من ابناء هذا الشعب يأكل من القمامة
لا داعى للإستحياء
لا داعى للخجل
نحن دولة تعيش على الشحاته
إعلانات طوال الليل والنهار على شاشات التلفاز تدعوا من ليس معهم مال أن يتبرعوا
اشعر أن الكلمات التي اريد أن اتحدث بها لا تصلح أن تقال أمام الجميع هكذا اشعر إنى مكبل بالإصول الاخلاقية التي تمنعنى أن اتجرد منها واتفوه بما اريد تشعر إنه بدأ عليه الإنفعال فأرادت أن تنتقل إلى أمر آخر حتى يهدأ قليلًا
- نحن دائمًا نشتاق للحوار معك ولكن حضرتك دائمًا مشغول في العديد من الأشياء أو خارج البلاد
يبتسم عباس إبتستمة هادئة
- مشغول دائمًا في البحث عن أشياء تجعل بلداننا أفضل البلدان
-وهل لا يعيق السجن رؤيتك
بمعنى اوضح أن رد الفعل الذي يقوم به معك الحكومات لا تجعلك تتراجع حتى تستطيع أن تحقق ما تريد بدون عوائق ؟
-أنا سعيد بما يفعلوا هؤلاء معى
سعيد لكونى إدرك أن هذا يسبب الإزعاج لهم وأنا لا افعل هذا من أجل التسبب في الإزعاج لهم واشعرهم إننا نفهم ونقيم الامور جيدًا وليس كما تعتقدون إننا لا نفقه شيء

- وهل تشعر بالخوف على اولادك ؟
ينظر إليها عباس وكأنها ذكرت اهم شيء في حياته
كانت نظراته بها خوف شديد
خوف في عين لم تراه يومئ
عين كانت تظل تراقب افعال لا تروق له
(ثم تنهد وقال)
-لا اعرف الكذب ولم اتحلى به يومئ ولذلك دعنى اخبرك بالحقيقة
أنا اخشى عليهم
حقًا اخشى عليهم واخشى كثيراً
(ثم قال بصوت قوى ونبره حاده)
ولكنى اخشى على الوطن أكثر
أحب الوطن أكثر مما أحب اولادى
لست مثل ابى الذي كان يحبنى أنا أكثر
ابى الذي قال لا تهدم شعائر دينية تقدسها البشرية
الوطن باقى والاولاد ذاهبون
ربما يخون اولادى يومئ الوطن ولكن الوطن لا يخون اولادى
أنا مؤمن بقضية وطنى أكثر من إيمان تجار الدين بأنهم للدين حماة
ولكن دعنا من ذلك الأمر ودعنا نعود لما يجعل البلد أفضل
ومن ضمن الأشياء التي تجعل البلد أفضل هي الاهتمام بالصحة
من غير اهتمام بالصحة سنكون مثل الكلاب التي تسير في الطرقات ويخشى الجميع الإقتراب منا حتى لا يصاب بالعدوى
- ما لا شك فيه أن الاهتمام بالصحة مطلوب فعلا ولكن اعتقد أن التشبيه مبالغ فيه بعض الشئ
يبتسم عباس في سخرية ويقول
- كان لدى جار اسمه ابراهيم وأنا كنت في الثامن عشر من العمر
عم ابراهيم هذا كان من دور والدى تقريبا وكان لديه إبن في الثلاثون من

العمر وكان غير متزوج ومقيم مع ابيه عم إبراهيم وهانى ابن الحاج ابراهيم هذا كان جالس مع ابيه لعدم وجود مال كاف حتى يحصل على منزل وزوجة وإستقرار شأنه شأن الكثير من الشباب الذي هي حق من إحدى حقوق شبابنا المنهوبة من قبل المسؤولين الذين يسيطرون على البلاد وكانت حياتهم مثل الجميع لا تختلف عن معظم الفقراء في شيء وليس رفاهية كما يعتقدون حكامنا الكرام ومسؤلينا العظام ومع ذلك كان الحاج ابراهيم يحب إبنه كثيراً حتى في يوم من الأيام عرض على إبنه هانى الزواج والجلوس معه في المزل ولكن هانى رفض وقال له متحججا لا اريد الزواج الآن وكان السبب الأول لرفض هانى للزواج لا يكمن فيما قال من عدم وجود رغبة منه في هذا ولكن السبب يعود لعدم وجود مال كاف لعلاج والده والإنفاق منه على زوجته فكان عم إبراهيم مريض يشئ خطير وقليل من يحصل على الحياة مرة أخرى بعد الإصابة بهذا المرض ومع ذلك كان هانى يعمل كثيراً حتى يحصل على مال كاف لعلاج والده المسكين الذي ذهب به هانى إلى العديد من المستشفيات وكان رد افعالهم مفعم بالامبالاة والرد الوحيد على المطالبة بالعلاج مقتصر على كلمة واحدة لا يوجد علاج

وكان يجب على هانى القيام بهذا على نفقته الخاصة وكان رصيده المالى يكمن في بنيته الجسدية وبدأ في العمل أكثر واكثر حتى اصبح يعمل عشرون ساعة في اليوم الواحد للدرجة التي جعلته يحصل على النوم في السيارة وهو متنقل من عمل إلى عمل وكان لا يذهب للمنزل إلا لكي يكون بجوار والده وقت تناول العلاج ولكى يبدل ملابسه أيضًا

تخيل حضرتك شاب في عمر الشباب ينام وهو ذاهب من عمل على عمل حتى يعالج والده المريض الذي رفضت جميع المستشفيات علاجة واستقباله وكأنه به شيء خطر عليهم ثم تأتى أنت وتقول أنا ابالغ

أنا فعلا ابالغ بالنسبة لكم

أنت تجلسون في التكيفات وترتدون افخم الماركات من الإكسسوارات

انتم لديكم منازل فاخرة وسيارات يتمنى الكثير من الفقراء الحصول على

الشهادة تحت إحدى إطارتها
انتم لديكم خادمات فلبنيات يسهرون طوال الليل على خدمتكم حتى تتنعموا ونحن لدينا ديون نسهر طوال الليل عليها أيضًا ولكن حتى نفكر كيف سنعيدها إلى اصحابها
- وهل المستشفيات لم تقوم بعلاج عم إبراهيم حتى الآن ؟
-لا لا طبعا لقد قاموا بالعلاج له على طريقتهم الخاصة على الوجه الاكمل حتى مات
تقول مادلين متعجبا
-مات ؟
وكيف كان العلاج الذي تلقاه عم إبراهيم ؟
-كان العلاج الذي تلقاه هو الإهمال وكان الموت هو الشفاء
هانى هذا ا كان يقوم ببيع اثاث المنزل حتى يستطيع توفير علاج والده لعدم وجود علاج من الدوله
هانى هذا كان لا يريد قبول مال من أحد من الجيران حتى لا يشعر إنه مكسور أو غير قادر على تحمل المسئوليه
هانى هذا الذي كان يفعل المستحيل وهو يعلم أن المرض لن يتوقف ولكن إيمانه وعزيمته وشجاعته وشهامته لن تتوقف لحظة واحدة ولن يشك في قدرات الخالق وقدرته على فعل كل شيء
هانى هذا الذي قيل له من الاطباء عد من حيث اتيت فقد لا يوجد علاج لدينا
هانى الذي قام بالإنتحار حرقا عندما مات والده أمام عينيه وهو ينظر إليه نظرة رجاء في مساعدته في تخفيف الالم حتى ولو بالقتل
هانى الذي لم يستطيع قتل والده كما اراد والده حتى يشعر بالراحة من العذاب
هذا هو هانى أحد ضحايا النظام الفاسد
هل تريدين أن اخبرك عن حكاية سعيد الذي قتل اولاده لكونه غير قادر على إطعامهم ؟
أم تريدى أن احيكيك عن المرأة التي رفضت المستشفى أن تستقبلها لعدم

وجود مال معها حتى وضعت طفلها على جانب الطريق ومطالب من هذا الطفل فيما بعد أن يحب البلد ويكون مخلص لها ويقدم نفسه فداء لها
أم تريدى أن اخبرك عن ألاف الشباب التي لديهم امراض وحتى الآن لم يجدوا لها اسماء ولا يستقبلوهم ولا يهتموا بعلاجهم
عن ماذا احكى وعن أي شيء اقول فقد سئم الحديث من الحديث بالحديث
الشئ الوحيد الذي يدعونى إلى الصبر هو أن المريض ليس عليه حرج
تجتهد وتحاول مادلين في إخفاء الحزن الذي يبدو عليها
-عذرا أنا لم افهم شيء
من المريض هذا ؟
- أنا المريض
أنا الذي كل شيء من حولى يجعلنى اشعر بالألم
لم يكن الالم هذا مقتصر على ألم عضوى
الذي يؤلمنى حقًا هي الافعال التي ترتكب من حولى
الافعال التي يرتكبها المرضى النفسيون
- ولماذا تذهب إلى المكان الذي به مرضى النفسيون ؟
يبتسم ويقول
-اصبح ليس لديهم مكان مخصص حتى اذهب اليهم بل هم اصبحوا في كل مكان من حولنا
اشعر أن الناس تبكى بدون دموع ولكن لا إستسلام لمن يفعل ذلك بنا حتى ولو كان لديهم السلطة والنفوذ
-ربما كانت لهم اخطاء ولكن تظل البلد قائمة نتيجة تماسكم وحماية الأرض
-هم لا يقلوا شأنا عن المافيا الخارجين عن القانون ولكن الفرق أن هؤلاء يفعلون كل ذلك بإسم القانون
وتحت ستار يحمل شعار من أجل الدفاع عن الأرض ثم أي أرض هذه ؟
أي أرض ؟
الأرض التي تخلى عنها مقابل المال ؟

أم الأرض التي سفك دماء سكانها من أجل السلطة ؟
دائمًا اتذكر قول مطر عندما قال كل اصحاب السمو والمعالى تحت نعالى
(مازالت مادلين تتابع في صمت)
اخبرنى والدى عن قصة منذ الصغر
الخلاصة من القصة أن هناك وطن واتقسم دول وفرق وطوائف وشعوب وقبائل
كل إنسان له من الاسماء اسم ومن الدم فصيلة ومن العقل نصيب ومن العقيدة ما نشأ عليها
لم يكن لون البشرة هو المرجعية ولا إختلاف اللسان قضية
القضية هي التعصب الاعمى للإنسان الذي لا يقبل الإختلاف
المضر حقًا في الأمر لعدم تقبل الإختلاف هو التعصب الذي يأخذ بنا إلى الفوضى التي نراها الآن من حولنا
هذا يجب أن يقتل إنه يعارض السلطة
هذا يستحق القتل فقد ترك الدين
هذه تحب فلان إذن فهي لا تستحق العيش
هذا يسئ للراوى فلان بجب أن نضرب عنقه
الدم اصبح ارخص من الرخص ذاته
اصبح ارخص من عطر العاهرات التي يجلب إليها الحيوانات
- للأسف الشديد الوقت مر سريعا ولن يتبقى سوى دقيقة واحد فهل تستطيع أن تخبرنا بأهم العناصر الاساسية التي يجب أن يتخذ بها حكامنا خطوات سريعا حتى يتغير واقعنا إلى الافضل
بناء المدارس والمستشفيات
احترام كفاءات الشباب واستغلال طاقتهم
العمل على عودة الزراعة والصناعة
منح الحرية الكاملة في تعبير المفكرين والفلاسفة في الكتابة والقول بدون خوف من السلطة سياسية أو من رجال الدين الذين يطلقون على انفسهم حماة

الدين
كما منع تكفير كل من يفكر ويأول
تحقيق العدل والمساوة بين الجميع في الحياة بغض النظر عن الإختلاف العقائدى أو الإختلاف في اللون اوالجنس اوالعرق
عملية تأهيل لكل من المدرسين والدعاة جيدًا لكونهم يلعبون دور اساسى ومهم في تشكيل فكر الاخر
-للأسف الشديد انتهى الوقت سربعا دون أن نتحدث عن أشياء كثيرة في غاية الاهمية ولكن قريبا سنتحدث عنها أن شاء الله ونتوجه لك بالشكر على هذا اللقاء العظيم ونتمنى أن تستطيع أن تصف شعورك في كلمة تجاه هذا الوطن الذي تسبب لك في الكثير من الاذى مع العلم إنى اعلم أن هذا سيكون شاق عليك أن تصف شعورك في كلمة ولكن قيمة مثل حضراتك لن يواجة صعوبة بالغة في هذا مثل أي شخص
-لا شيء يعجبنى مثل ما قال محمود درويش
اعتقد إنها انسب كلمة تلخص شعورى
- كلمة رائعة وسهرة اروع مع مفكر وفيلسوف كبير والى اللقاء مرة أخرى على قناة أن أم واى
(يبدو التتر على الشاشة للجميع ويبدو رجال يرتدون بذلات سوادء يقفون خلف الكاميرات في إنتظار عباس)
يقترب المخرج إليهم ويقول لمن يقف على رأسهم
- من سيادتكم
ليرد عليه بوضع يده في جيب بذلته الداخلى ويخرج هوية ويضعها أمام وجهة المخرج لينظر إليها ويبتلع ريقه ويقول
- تحت امرك
اقدر اساعدك ؟
-يريد عليه بيده مشيرا بيده دعوة إلى الصمت
كان يرى عباس المشهد كاملا مما ادى به إلى النظر لمادلين قائلًا

-لماذا هم دائمًا على عجله من امرهم ؟
- يبدو أن الأمر به قلق
لا داعى للقلق فالعقيد شهاب طيب جدًا ولكن لا اعلم هل ما زال عقيد أم اصبح اعلى من هذا وهل ما زال في المكان أم غادره ؟

فصلة

للنشر و التوزيع

Fasla Publishing & Distribution

تواصل معنا :

01067000701

E-mail -: Fasla .Pub@Gmail .com

Facebook .Com/Fasla .Pub